جامعة عمار ثليجي – الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

المناطق التي حظيت باهتمام الرحالة المغاربة في القرنين العاشر والثاني عشر هجريين

(الأغواط ، توات ، الزيبان)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد:

– قطاف فاطمة

إشراف:

أ.بومدين كعبوش

السنة الجامعية 2019/2018

مقدمة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الطاهر الأمين الذي اخرج العباد من الظلام إلى نور الإسلام الخالد وعلى اله وصحبه أجمعين أما بعد :

سخر الله سبحانه وتعالى للناس الأرض ليحققوا خلافته فيها و أمرهم بتعميرها والانتشار فيها لقوله تعالى : هو الذي جعل الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور سورة الملك الآية 15)، وقال تعالى: "ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها" سورة النساء

تعتبر الرحلة ظاهرة اجتماعية عبر عصور التاريخ الطويل فهي تمثل جانبا مهما من جوانب صياغة الحضارة الإنسانية عامة ، وهي جزء أساسي من حركة التاريخ الإسلامي خاصة، وقد تعددت العوامل التي أثرت في الرحلات منذ صدر الإسلام وتفاوتت في تصدر لائحة الأهمية من حقبة إلى أخرى ومن إقليم إلى آخر ، إذ ظلت في مجملها حية ومتعايشة على مدار العصور.

إن الرحلات الحجازية تمثل نموذجا حيا ومثاليا لتلك التحركات والموجات والهجرات السكانية فهي تعد جزءا أساسيا من تاريخ الحجاز في حقبها التاريخية المختلفة ، فمنذ أن من الله عليها بمجيئ الإسلام توافد إليها الكثير من مختلف أنحاء العالم واستقروا بجوار الحرم المكي الشريف، والإسلام بقيمه حقق انصهارا بين الرحالة ووحد بينهم فكان يربطهم برباط مشترك.

لقد شهدت منطقة المغرب العربي نشاطا مكثفا للرحلات نحو منطقة الحجاز لذا تعتبر الرحلات من أحد القضايا التي لفتت انتباه الباحثين واستأثرت باهتمام علماء التاريخ والفقه وعلم الاجتماع والتربية من دول مختلفة عربية وأجنبية من خلال إصدار العديد من المؤلفات والدراسات ،ومن خلال تتبع هذه الرحلات نجد أن الرحالة سجلوا كل ما مروا به من أحداث وكل من رأته أعينهم من مناطق ومسالك ووديان وانهار فهم تركوا لنا زادا لا بأس به من المعلومات حول الحياة والعيشة في ذلك الوقت .

ومن بين المناطق التي حظيت باهتمام الرحالة جنوب الجزائر وصحراؤها حيث اتخذوا منها مسالكا ومحطات إلى الحجاز مثل الاغواط و بسكرة وتوات

1-دوافع اختيار الموضوع :

1. الاهتمام الشخصي بالتاريخ المحلي والسعي لإحيائه
2. نقص الاهتمام بتاريخ مناطق الجنوب وعدم المبالاة بتاريخنا المحلي
3. تقديم الاضافة للمكتبة الجزائرية حول مثل هذه المواضيع.

2-أهمية دراسة الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في كونه يسلط الضوء على جانب مهم وهو التعرف على شكل الحياة في القديم في مناطق الصحراء والجزائر ، من خلال الرحالة الذين مروا بها وتكملوا عنها ،كما تكمن أهميته أيضا في التعرف على بعض الرحالة من خلال شهادتهم حول حياتهم الاجتماعية والثقافية والعلمية .

3-الإشكالية : يطرح موضوعنا الاشكالية الرئيسية التالية: ما هي صورة الجنوب الجزائري في كتب الرحالة في الفترة الحديثة؟ وماذا قدمت لنا كتب الرحالة حول مناطق الأغواط والزيبان وتوات ؟

ما هي الرحلات الحجازية وما أهميتها ؟ من هم الرحالة الذين تكلموا عن المناطق الصحراوية الجزائرية ؟ ما هي المناطق التي تكلموا عنها وماذا قالوا عنها ؟

4-المنهج المتبع :

اتبعت المنهج الوصفي الذي يرصد ويسرد وينقل ما مضى من وقائع وأحداث حيث قمت برصد المادة الوصفية الواردة في المصادر وتصنيفها كما اتبعنا المنهج التحليلي الذي يحلل الأحداث ويفسرها.

5-الخطة المعتمدة :

قد اعتمدنا في بحثنا على الخطة الآتية حيث قسمنا الموضوع إلى فصل تمهيدي و أربعة فصول:

الفصل التمهيدي بعنوان: ماهية الرحلات الحجازية، وتطرقنا فيه إلى: التعريف اللغوي والاصطلاحي للرحلة وأنواعها وأهميتها وتعريف الرحلة الحجازية وأهميتها وطرق ومسالك الحجيج وزمن الرحلة

والفصل الأول كان بعنوان : تعريف الرحالة المغاربة وتطرقنا فيه إلى تعريف كل العياشي والناصري والحضيكي والأغواطي وذكر ما توفر لنا من مسار رحلة كل منهم وخصائصها

الفصل الثاني وقد كان بعنوان: الأغواط في الرحلات الحجازية تطرقنا فيه إلى تعريف مدينة الأغواط الموقع والتضاريس والسكان وذكر ما جاء عن الأغواط في كتب الرحالة .

الفصل الثالث: وقد كان بعنوان توات من خلال الرحلات الحجازية حيث عرفت فيه منطقة توات وأبرزت خصائصها الطبيعية والبشرية وأهم ما ذكر عنها في كتب الرحالة

الفصل الرابع : منطقة الزاب في الرحلات الحجازية وعرفنا فيه منطقة الزاب 'الزيبان' وموقعها وتضاريسها وسكانها ، وما ذكر عنها في الرحلات الحجازية.

6- نقد المصادر والمراجع:

من أهم المصادر المعتمدة في هذه الدراسة: الرحلة العياشية لعبدالله ابن محمد العياشي، والرحلة الناصرية الكبرى لأبي عبد الله محمد عبد السلام الناصري، و الرحلة الحجازية لأبي عبد الله محمد ابن احمد الحضيكي السوسي، ورحلة الأغواطي لابن الدين الأغواطي ، وهي المصادر الأساسية للرحلات التي اعتمدت عليها .

كما اعتمدت على عبد الرحمان ابن خلدون في ديوان المبتدأ والخبر كما اعتمدت على مجموعة من المراجع خصوصا ما تعلق منها بالرحلات

7-أهم الصعوبات:

وقد صادفتنا خلال انجاز هذا الموضوع العديد من الصعوبات كادت أن تؤثر سلبا على مسار البحث

1-انعدام دراسات سابقة تناولت الموضوع بسبب نقص الكتابة والبحث عن منطقة الجنوب .

2-قلة الوثائق والمخطوطات

3-اتساع مجال الدراسة

الفصل التمهيدي :

ماهية الرحلات الحجازية

1. تعريف الرحلة
2. أنواع الرحلات
3. الرحلة الحجازية

الفصل التمهيدي: ماهية الرحلات الحجازية:

1- تعريف الرحلة:

لغة: يعرف لنا ابن منظور الحلة لغة بقوله: ((إن الرحل هو مركب البعير والناقة، وجمعه أرحل ورحال، والرحالة كل ذلك من مراكب النساء وقيل: هو من مراكب الرجال دون النساء والترحيل والإرحال بمعنى الأشخاص والإزعاج ويقال: رحل الرجل إذا سار، وقوم رحل أي: يرتحلون كثيرا، " والرحل كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير"[1].

فجاءت الرحلة على أنها السير إلى الأشخاص والأماكن على مركب للبعير وهو للنساء والرجال على السواء.

الإرتحال هو من مكان إلى مكان، ومن حالة إلى حالة، فعل سبق كل الأفعال وسمة سبقت كل السمات، وتحولت إلى حلم وشوق تتطلع إليه كل نفس، وهاجس ملح يحوم في أعماق الكثير من المخلوقات، وحتى الحيوان والطير[2].

الرحلة في الاصطلاح: أما الرحلة فتعرفها لنا دائرة المعارف بأنها هي: " انتقال واحد أو جماعة أو قبيلة أو أمة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة، كجدب بلادهم وضيقها أو لإضطهاد وقع عليهم، أو على أثر حروب أتلفت أرزاقهم وأسباب معيشتهم، ومع هذه الأسباب تسمى رحلاتهم مهاجرة، وهذا شأن الأمم منذ قديم الزمان[3].

وفي تعريف آخر هم: أشخاص يرتحلون من مكان إلى آخر طلبا لكسب العيش، وأغلب الرحالة يرتحلون في مساحات غير محددة وفقا لما تقوم عليه أنشطتهم وحسب فصول السنة[4].

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، ط6، بيروت، دار صادره، 2008، ص ص 221-222

[2]- محمد بن مسعود بن عبد الله، **موسوعة الرحلات العربية والمعرفة والمخطوطة والمطبوعة**، ط1، القاهرة، دار المعارف،2007 ص4

[3]- بطرس البستاني، **دائرة المعارف**، طهران، مؤسسة مطبوعاتي، ريما عليان، ص8

[4]- مجموعة من الأساتذة، **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996، ص11

والرحلة هي أيضا: مخالطة للناس والأقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية ولرصد بعض الجوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة[1].

فأصبحت كتابات الرحالة " تصور أحوال الناس والعمران بالعين الباصرة اللاقطة[2]. وذلك أمر طبيعي يتعلق بحياة الأفراد والأمم، وما أكثر ما نجد كتب التراث العربي التي تحفل بأخبار الرحلات والرحالة[3].

2- أنواع الرحلات:

أ- **0الرحلة الحجازية**: هي رحلة دينية، يقصدها الرحالة بدواع أداء فريضة الحج والعمرة[4] لقوله تعالى : " أذن في الناس بالحج يأتوك رجالا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق"[5].

كما ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " لا تشد الرحال إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام، مسجد الرسول، المسجد الأقصى"[6].

وعملا بهذا القول وقصد جمهور من العلماء البقاع المقدسة[7]وكان الحج فرصة لهم لزيارة الأوطان الإسلامية، ولقاء علمائها مصداقا للقول الأثور: " سافروا تصحوا وتغنموا تزدادوا رزقا"[8]. لهذا حرصوا على وصف رحلاتهم وإقامتهم حتى أصبحت كتبهم دليلا لمن أراد السفر ومرشد لمن يحذر الخطر.

لكن كما تقتصر الرحلة على أداء فريضة الحج بل نجوزها إلى تحصيل العلوم الدينية النافعة، والأخذ من علوم الفقهاء العواصم الذين يمرون بها.

لهذا كان بعضهم يسافر في الحج بزمن كافي، ليجد من الوقت ما يحصل فيه زيادة من العلم والمعرفة، فكان من أثر ذلك أنهم ألفوا كتبا كثيرة في وصف الرحلات إلى البيت العتيق ومنهم من

---

[1]- حسين فهيم، **أدب الرحلات**، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص15

[2]- شوقي ضيف، **الرحلات**، ط4، القاهرة، دار المعارف، ص5

[3]- عمرو عبد العزيز منير، **مصدر العمران بين كتابات الرحالة والموروث الشعبي في القرنين 6و7**، ص13

[4]- محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص11

[5]- سورة الحج، الآية 22-27

[6]- رواه الترمذي.

[7]- مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المقاربة في العهد العثماني**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص12

[8]- رواه الترمذي.

أدمجها في كتب المسالك ومنهم من خصص لها كتابا وهذه الرحلات إما نثرا أو شعرا ومن أبرز الرحالة الذين ارتحلوا بدافع روحاني لأداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة نذكر على سبيل المثال: العياشي، التازي، المقري...إلخ.

ب-الرحلة التجارية:

استمرت الرحلات التجارية وأشتهر بها العرب في ظل الإسلام وازدهرت نتيجة لاتساع الدولة وسهولة التنقل في داخل أقاليمها، إلى جانب النقاد المسلمين في موسم الحج فكانوا يعقدون الاتفاقات والصفقات التجارية وساعدهم على الرحلات التجارية وحده الثقافة والدين في أقطار العالم الإسلامي، كما كان كثير من المسلمين يرحلون في طلب الرزق[1] تطبيقا لتعاليم القرآن الكريم في قوله تعالى: " فإذا قضيت الصلوات فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" واستطاع المسلمون عن طريق الرحلات التجارية أن ينشروا الإسلام في أندونيسيا غيرها من الجزر الهندية النائية.

ج-الرحلة العلمية:

يقول ابن خلدون في مقدمته عن الرحلة في طلب العلم " إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وتارة محاكاة تلقينا بالمباشر، وإن الرحلات لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال[2] والرحلة العلمية وإن صحت بوصف البلدان والمجتمع فإنها تفتت في الحديث عن الحياة الفكرية والنشاط الثقافي وما هذا بالجانب الذي يستهان به.

د-الرحلة الإدارية:

ظهر هذ النوع في القرن 16، فكان السلاطين السعديون وبعدهم العلويون يعينون بعض المقربين للقيان بمهمة البلدان الأجنبية أو الإسلامية، بعد العودة يكتب السفير تقريرا مفصلا يذكر فيه كل ما رأى أو حدث له أو اطلع عليه[1].

---

[1]- أماني بنت سعيد الحربي، **مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين**، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم، جامعة أم القرى، كلية الشريفة، 2015م، 1436ه، ص46.

[2]- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار العرب، ط1، سنة النشر 1425، 2004، ص440

ه- الرحلة الشخصية: من الطبيعي أن يقوم أشخاص عديدون بالسفر دفعا للخمول والركود، يتحلى هؤلاء بروح المغامرة، المجازفة، فيقومون بالسفر بمحض ارادتهم، وقد كان هذا الأمر قليلا في القديم لكنه يكاد يكون السائد في عصرنا، وخاصة كما انتشرت وسائل المواصلات وأصبحت ميسورة ومأمونة[2] .

3- الرحلة الحجازية:

يرى عبد الله المرابط الترغي أن الرحلة الحجازية المغربية تقوم على مجموعة من الثوابت نميزها عن بقية الرحلات الأخرى أو بقية الأجناس الأدبية الأخرى[3].

وهذا ما عكسته الرحلات فعلى مستوى الهدف فإن الذهاب إلى الحج لأداء مناسك وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم منح الرحلة صفة الحجازية وبذلك عرفت وتميزت وبما أنها رحلة فإن الحديث عن الطريق ومراحله يبقى ضروريا ولذلك يحرص الرحالة على تعددها مع ذكر مشاكلها ومصاعبها سواء في البر أو فيا لبحر، ولا يقتصر حديث الرحالة على طريق الذهاب بل أيضا على طريق العودة[4].

وبما أن القصد من الرحلة هو الحج فإن الرحالة يحرص على الحديث عن مناسك الحج وكيفية تأديتها، ويعد هذا العمل ضروريا، لذلك نجده يتكرر في جميع الرحلات الحجازية المغربية، وإن كان ذلك بشكل متفاوت كما أن التعابير المتعلقة بالشوق إلى الحجاز تظل حاضرة بقوة وهو ما يتم التعبير عنه نثرا أو نظما أو شعرا خصوصا فيما يتعلق بالمسجد الحرام والمسجد النبوي... إلخ.

ومن الثوابت في الرحلة الحجازية حرص الرحالة على تسجيل الأحداث التي نصادفها في الطريق مثل استعدادات الرحيل ما يلزمه من عدة مادية ومعنوية ومراحل الرحلة، وأحوال الطريق البحري أو البري، بالإضافة إلى الحديث عن أحوال الراحلين أثناء الرحلة برا أو بحرا، سواء تعلق الأمر بظروف الصفر أو هيئة الركب وبنيته أو بصفة عامة الحياة اليومية على طول طريق السفر.

---

[1]- مولاي بالحميس، مرجع سابق، ص11

[2]- حسين نظار، **أدب الرحلة**، مكتبة لبنان الشركة العالمية للنشر لونجان، ط1، سنة 1991، ص45

[3]- عبد الله المرابط الترغي، **حركة الأدب في المغرب على عهد المولى دراية في المكونات والاتجاهات**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، السنة الجامعية 1991-1992، ص1527.

[4]- عبد الله المرابط الترغي، المصدر السابق ، ص1527

فضلا عن ذلك يحرص الرحالة على تسجيل حوادث الطريق خصوصا ما يتعلق بالظروف الاجتماعية والمناخية أو البشرية مثل قطاع الطرق والقرصان...الخ[1]

والحديث عن المجتمعات التي عبر بها الركب سواء كانت بدوية أو حضرية فيسجل الرحالة عاداتها وطريقة تعاملها مع الركب ومزايا الحياة فيها.

ومن الثوابت والضروريات في الرحلة المغربية الحجازية تركيزها على التواصل العمي والثقافي والاجتماعي مع الشرق الغربي الإسلامي خصوصا مصر والحجاز والشام، وإن كنا نلاحظ أن الجانب العلمي الأكثر خضوا في الرحلات الحجازية بدون استثناء سواء تعلق الأمر بذكر الشيوخ الدين تم الأخذ عنهم، أو بحضور مجالس حلقات العلم... أو البحث عن علماء المشرق والحرص على الأخذ عنهم وطلب الإجازة منهم أو بإشارة قضية من القضايا الفقهية الخلافية بين المذاهب الإسلامية المعروفة[2].

أ) تحديد الحجاز:

الحجاز أحد الأقاليم شبه الجزيرة العربية القديمة، معروف موقعه عبر واضحة الحدود، ومعنى الحجاز: الحداد أو الحجز ولفضل الحجاز عرف قديما منذ كان سكان شبه الجزيرة يعيشون أشتاتا يعمه التفكك السياسي ولا تجمعهم دولة، فهم دولة مجموعة من القبائل استنفرت المعيشة غير واضحة الحدود وغير ثابتة ولا متطابقة مع الأقاليم الجغرافية، مع ملاحظة تمتع بعض مدنه بالإستقلال وفق نظم خاصة، مثل مكة والمدينة وبعض الإمارات اتسعت رقعتها على حساب غيرها.

وبعد ظهور الإسلام أصبح الحجاز جزءا من الدولة الإسلامية فأوجد المسلمون تقسيمات إدارية متلائمة مع مستجدات الظروف دون الإلتزام بالتقسيمات الجغرافية فتنتج عن ذلك عدم ثبوت تلك التقسيمات مما جعل لكل من المدينة ومكة والطائف قائما بذاته، امتدت في بعض الأحيان سيطرته السياسية إلى أطبران والعراق.

---

[1] – نفسه

[2] – عبد الله المرابط الترغي، المصدر السابق ، ص1527

وقد أطلق على البقعة الممتدة من اليمن جنوبا إلى أطبران شمالا الحجاز لحجزه وروي هذا بالتحديد عن ابن عباس رضي الله عنهما إذ يعد أول تطرق لحدوده وهو كما تلاحظ تحديد واسع غير دقيق...الخ.

وورد تحديد آخر الحجاز لدى الأصفهاني بأنه يمتد من صنعاء جنوبا إلى أطبران الشام شمالا، وقد سمي حجازا لحجزه بين نجدر تهامة وعليه فمكة من تهامة والمدينة والطائف من الحجاز، وما انحدر من ذات عرق غربا فهو من الحجاز، وما انحدر من ذات عرق شرقا فهو من نجد وعن عرام ابن الأصبع، فالحجاز لديه: المنطقة الواقعة بين المدينة ومعدن والنقرة فالمدينة نصفها حجازي ونصفها تهامي.

أما ابن حوقل فحدده جنوبا بالمرين شمالا بمدين والحجر، وشرقا باليمامة وحبلي طي، وذكر ياقوت أن الحجاز ما حجز بين تهامة ونجد بين الشام وتهامة والبادية كما نقل عن الأصمعي قوله: أن مكة تهامية وأن المدينة والطائف حجازية .

ويظهر من استعراض بعض أقوال الجغرافيين المسلمين عدم اتفاقهم على حدود جغرافية واضحة المعالم وما ورد من أقوالهم لا يحدد موقعه بدقة، إنما يشير إلى موقعه بصفة عامة.

لذا نقتصر على المنطقة التي يعتقد أنها من الحجاز والتي تبدأ من تبوك شمالا إلى أطبران اليمن جنوبا، من ساحل البحر الأحمر غربا إلى أطبران نجد شرقا.[1]

ب)أهمية الرحلات الحجازية :

إذا كانت كتب التاريخ مهمة في إمداد الباحث بمعلومات تاريخية للفترة الزمنية التي يبحث عنها، نجد كتب الرحلات من أهم المصادر التاريخية فالرحلات تتعرض إلى جميع نواحي الحياة، إذ تتوفر فيها مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد والأدب والأديان فالرحلات سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور، فالرحال وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يكتب عن مظاهر مختلفة في الحياة سواء شاهدها أو سمع عنها أو نقلها من غيره، ولا

[1] – عواطف محمد يوسف نواب: **الرحلات المغربية الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة**، المكتبة الملك فهد، الرياض 1417، 1996م، ص30

شك أن الرحالة يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم وفي درجة اهتمامهم ونوع هذا الاهتمام وفي نوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغيرة التي يمرونا بها[1] .

ج) طرق ومسالك الحجيج في بلاد المغرب:

تتعدد المناطق المغربية التي تنطلق منها رحلة الحج إلى بلاد المشرق الإسلامي، من الأندلس إلى المغرب الأقصى وكذا المغربين الأدنى والأوسط، حيث أن الرحلات المغربية كانت تضم في ثناياها عدة مقاصد من أداء المناسك والتجارة وطلب العلم فغن الطرق التي كانت تسلكها القوافل كانت أو قوافل الحجيج وعلى هذا الإعتبار يمكن تقسيم الطرق يسلكها الحجيج إلى طرق داخلية تربط بين أقاليم بلاد المغرب الإسلامي الثلاث، الأقصى والأوسط والأدنى، أو داخل شبه الجزيرة الإيبيرية الأندلسي، وإلى الطريق الخارجية تربط بين هذه الأقاليم وبين بلاد المشرق مصر والشام ومن ثمة شبه الجزيرة العربية.

- **الطرق البرية الداخلية.**

- **الطرق الرابطة بين أقاليم المغرب الثلاث:** تتعدد المسالك البرية الرابطة بين أقاليم المغرب، ويعود ذل إلى كثرة تفرعاتها بين المدن والمراكز التجارية والحواضر العلمية، إلا أنه يمكن التمييز بين مسلكين عظيمين يربطان المناطق الشرقية للمغرب بأقصاه في الغرب هذان المسلكان يتمثلان في مسلك الهضاب العليا، حيث يمتد من جهة الجريد بتونس، ويتعرج حول جبال الأوراس مارا بحوض الطرف وبممر الحضنة، ثم بفتحة تازا وبالشمال الغربي من بلاد المغرب، يتفرع عنه سلك يمتد من برقة وطرابلس متجهة نحو الجنوب الغربي من المغرب الأقصى، عبر الأطلس الصحراوي[2].

[1]- محمد يوسف عابد، **بلاد الشام في رحلة ابن بط**وطة، دراسة نقدية مقارنة، 1326-1349ه، رسالة ماجيستر، جامعة أم القرى، غير مطبوعة، 1916/1406م.

[2]- نجاة باشا، **التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة**، منشورات الجامعة التونسية، 1976م، ص80-89

إذ نربط هذه الطرق الداخلية مدن المغرب الأقصى، كمدينة فاس والبصرة، والسوس الأقصى، بالقيروان، وصوات إلى صفاقس، ثم طرابلس، مرورا بمدن المغرب الأوسط، كتيهرت والمسيلة وتلمسان، هذه الأخيرة التي تعتبر فعلا بلاد المغرب، إذ لا بد للداخل والخارج من المرور بها.[1]

وتتعدد الطرق الرابطة بين المدن وأقاليم المغرب، فهناك طريق فاس المسيلة القيروان، حيث تنطلق من فاس بالمغرب الأقصى مرورا بحراوة أبي العيش ومليلة، ويستمر الطريق في هذه المنطقة عبر الساحل وصولا إلى تلمسان، فمدينة أفكان، حيث يتفرع الطريق إلى غرعين، أحدهما يسير باتجاه مدينة تيهرت، على بعد ثلاث مراحل، وأما الفرع الثاني فيصل إلى مدينة أشير آل زيري، ثم المسيلة، التي تلتقي فيها ثلاثة طرق برية تتفرع من القيروان، أحدهما باتجاه تيهرت غربا والآخر نحو مسيلة عبر بلاد كتامة، والثالث يربط القيروان بالمسيلة عبر جنوب جبل أوراس إلى مناطق الواحات والجريد.[2].

والطريق الآخر يربط سجلماسة بالقيروان، حيث ينطلق من سلجماسه مرورا بمدينة بسماطة، وهي من نفزازة، ثم قسطبلية، وصولا إلى القيروان حيث تقدر المسافة من فاس إلى تيهرت بثلاث أيام ومن تيهرت إلى قسطيلية خمس عشرة يوما، ومن قسطيلية إلى قفصة ثلاث مراحل، ومن قفصة إلى القيروان سبع مراحل[3]. كما توجد طرق تربط بعض المدن المغرب الأقصى بالقيروان من المغرب الأدنى، كالطريق الرابط بين البصيرة والقيروان، حيث يمر بفاس وتيهرت بالمغرب الأوسط، مرورا بقسطيلية وقفصة إذ تقدر ست وعشرين مرحلة، وثمانية عشر يوما، والطريق الآخر يربط السوس الأقصى بالقيروان، والسوس الأقصى ببرقة[4].

- **الطريق من المغرب إلى مصر**: لقد أصبحت الطرق الرابطة بين المغرب الأدنى والمشرق الإسلامي ساحلية أكثر منها داخلية، وإن كان استخدام الطريق الداخلي أكثر حركة من قبل بعد النصف الثاني من القرن السادس الهجري، بسبب محاولات الموحدين المتكررة

---

[1]- أبي عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، طبعة، 2002، ص250

[2]-ابن حوقل، أبي القاسم، **المسالك والممالك**، طبعة بريد، 1872، ص ص62-64، ولقد فضل هذا الطريق الإدريسي في نزهة المشتاق، ص ص246-296

[3]-المقدسي وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة ليدن، ط2، 1906، ص246

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص ص294-196

لضبط الأمن وبسط نفوذها على هذه المناطق، مما أدى إلى أنتعاش الطريق الساحلي وانتعاش المناطق الساحلية من الناحية الاقتصادية وكثر استعمال الطريق الساحلي الرابط بين تنس وطرابلس عبر مجموعة من المحطات التجارية كبجاية وتونس[1].

ولعل هذا ما يفسر لنا ندرة استعمال الطريق الداخلي الرابط بين سجلماسة وبلاد مصر عبر مدينة البهنسا المصرية، حيث عده الإدريسي من بين طريقين رابطين بين بلاد المغرب ومصر الظاهر إنه من الطرق الخاصة بالقبائل البربرية الملقمة التي لا تسلكه إلا بدليل لانعدام الأمن به بالإضافة إلى سبب آخر، وهو ندرة المياه بمراحله[2].

حيث تقدر المسافة هذا الطريق بأربع وثلاثين مرحلة[3]، وسبعة أيام، فيها أكثر من أربعة عشر مرحلة بدون ماء، يتم التنقل فيه عبر مجموعة من المدن كجب مناد، وعن قيس، وصحاري كثيرة مما جعل هذا الطريق نادرة السلوك إلا من قبل الطوارق، ولا يكون ذلك إلا مع اتخاذ دليل حادق له خبرة بهذا الطريق[4]. أما الطريق الثاني الرابط بين بلاد المغرب ومصر ثم بلاد المشرق الإسلامي، فهو الطريق الرابط بين برقة والإسكندرية، وهو أكثر استعمالا من الطريق السابق الذمر، وهو على بوابة الصحراء أو الطريق العليا للصحراء كما يذكر الإدريسي، حيث تقدر هاته كونه طريقا صحراويا خاليا من الحواجز الطبيعية كالجبال والتضاريس الوعرة، حيث يمر بمجموعة من المحطات المهمة انطلاقا من برغة كقصر الندامة، وتاكسنت، وجب حليمة، وواد مخبل، وجب الميدان، وحي عبد الله ومرح الشيخ، والعفبة، وجوانب أبي حليمة، وحخربة القوم، وقصر الشماس، وجب العوسج وكنائس الحرير وحنية الروم، وذات الحمام، وصولا إلى ثنوية فالاسكندرية.[5]

- **من مصر إلى بلاد الحجاز**: مر الرحالة المغاربة والأندلسيون والقادمون بطريق البر من مصر إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة بعدد من القرى والمحطات وصولا إلى الأماكن المقدسة وتتلخص في طريقين أساسيين:

---

[1]- عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري**، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1983، ص308-311

[2]- الإدريسي، مصدر سابق، ص344

[3]- تقدر المرحلة المغربية ب 30.000 متر. أنظر: نجاة باشا، مرجع سابق، ص95

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص345

[5]- أبي عبد الله بن عبد العزيز البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، ص3-4، الإدريسي، مصدر سابق، ص317

يمر الأول بقرب ساحل البحر الأحمر ويسلكه منذ القدم آتيا من مصر إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة ويبدأ هذا الطريق من العقبة.

أما الطريق الثاني فإلى الداخل قليلا ويسلكه القادمون من الشام ويبدأ من تبوك، ويلتقي طريق الساحل وطريق الداخل في بدر حين يجتمع به الركب الحجيج الشام ومصر وبيروت مجتمعين إلى أن يصل إلى مكة المكرمة[1].

ح) زمن الرحلة:

لقد اهتم الرحالة المغاربة بالرحلة وعنوا بها حيث إن جل رحلتهم كانت ليلا حيث كانوا يشعلون بالليل مرفوعة على قصبات لهداية القافلة إلى الطريق ومما يذكر أن القافلة تقطع رحلتها ليلا معظم الوقت تجنبا لحرارة الشمس الشديدة نهارا، وقد أوكلوا بالمشاعل أشخاصا يزودونها بالأخشاب كلما أوشكت على الانطفاء، وترفع المشاعل وتثبت عند توقف القافلة حيث أن كل مشعل يبعد عن الآخر بمسافة تحمل هذه المشاعل في النهار أيضا لكن بغير نار فيستدل الحجاج من أشكالها وأعدادها على قطاراتهم كما يستدل العساكر على كتائبهم بأعلام وبدون ذلك لابد إن الفوضى كانت ستدب بين هذه الأعداد الغفيرة[2]،

وكانت القافلة تتوقف كل صباح وينصب أفرادها خيامهم ليستريحوا لعدة ساعات وعند إنزال الحمولة من فوق الجمال يقودها الحمالة يسقوها ويقدموا لها العلف وعندما تدق الطبول يكون المعنى ذلك أن نجمع خيامنا وأن نحمل جمالنا لمواصلة الرحلة وتستغرق عملية الاستعداد والتحميل ساعتين فتقف الجمال متهيئة للمسيرة كرة أخرى وفي وقت الصلاة وتظل القافلة سائرة حتى صباح اليوم التالي.

حظي لمشرق بالعديد من الزيارات من طرف المغاربة وذلك لأسباب متعددة منها طلب العلم والإستزادة منه فضلا عن أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن الشهيرة في المشرق التي كانت تمثل مراكز جذب للعلماء[3].

---

[1]- ياقوت الحمودي، **معجم البلدان**، ط1، الجزء الخامس، مطبعة السعادة، مصر، ص195

[2]- محمد بن حسين ابن عقيل، **المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة والمنورة**، المجلد الأول، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، 2000م، ص347

[3]- محمد ابن حسين ابن عقيل، مرجع سابق، ص347

الفصل الأول :التعريف بالرحالة

1. أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي
2. أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن ناصر الدرعي
3. أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي

4.الحاج ابن الدين الأغواطي

الفصل الأول : التعريف بالرحالة

1- **أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي :**

أ) **التعريف به:** هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف ابن موسى بن عبد الله بن عبد الرحمان الفكيكي[1]، يعرف بعفيف الدين العياشي المغربي المالكي، نسبة إلى قبيلة آيت عياش البربرية القاطنة بنواحي سلجماسة جنوب غربي مغري الأقصى، ولد ليلة الخميس أواخر شعبات من عام 1037ه الموافق ماي 1628م، بمنطقة آيت عياش التي احتضنت الزاوية العياشية[2] وفي وسطها العلمي والصوفي تمت مدارك أبي سالم ويمكن تقسيم حياته إلى ثلاثة مراحل:

- **المرحلة الأولى: 1037-1059**

تلقى فيها تعليمه الأولى على سيد الشيوخ الزاوية العياشية، ثم رحل عام 1053ه-1643م إلى بلاد درعة التي ضمت الزاوية الناصرية في ربوعها، وانتقل إلى فاس حيث جامعة القرويين نضج

[1]- عبد الرحمان الحيرتي، **عجائب الآثار**، دار الجبل، بيروت، 1980م، ص115

[2]- عبد بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية** (1661م-1663م)، ط1، تج سعيد الفضلي وسليمان القرشي، دار السويد للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006، ص29

القرن الحادي عشر الهجري أن يرحل إلى الدلاء ولا إلى مراكش[1] وفي هذه المرحلة فقد أخذ من علماء بلده وفقهاء عصره وخاصة منهم شيوخ الزاوية العياشية قبل أن تشد رحاله إلى المشرق، يقول في ذلك ((وكانت أول معاناتي للطلب وتشبثي بأدباء الأدب كلنا بالزاوية، ومشرحا إليها من أثقال الدارية، فأخذت عن الأعلام الدين أدركتهم قليلا، فلم يشف ما لديهم مما أجد عليلا ولا أبراء عليلا))[2].

- **المرحلة الثانية 1059-1074**

ولما استوعب العياشي الواقع العلمي والفكري والصوفي والأدبي المغرب نافت نفسه إلى المشرق[3] فرحل ثلاث مرات إلى المشرق في أعوام 1059ه/ 1649م و 1064ه/1653م و 1072ه/1661م فأخذ من علماء مصر ومكة والمدينة المنورة وفلسطين[4].

- **المرحلة الثالثة 1074ه/1090**

وهي مرحلة نفرغ لندريس وتأليف[5] فكتب في هذه المرحلة رحلته الشهيرة ماء الموائد التي تمثل مع فهرسته اقتناء الأثر في ذهاب أهل الأثر ترجمة ذاتية استوعبت إحساسه وفكره وثقافته، كما كتب

---

[1]- محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، المطبعة الوطنية بالرباط، المغرب 1964م-، ص65

[2]- عبد الله محمد العياشي، **اقتناء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر**، تر نفيسة دهبي، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص100-101.

[3]- عبد الله العياشي، مرجع سبق ذكره، ص27

[4]- المصدر نفسه.

[5]- الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات معجم المعاجم، المشيخات المسلسلات**، ط2، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1982م، ص417

جل مؤلفاته التي تعبر عن اهتماماته العلمية في المجالات الحديث والفقه والتصوف، وتوفي بالطاعون يوم الخميس 18 من ذي القعدة عام 1090ه/1976م[1].

ولعل ما يميز حياة العياشي هو رحلاته الثلاث نحو الديار المقدسة وتدوينه لمجريات الأحداث الإجتماعية، والدينية والثقافية والسياسية، الشيء الذي أتاح له الإنتشار على نطاق واسع.

وقد كانت رحلة أبي سالم العياشي واسمها ((ماء الموائد)) من أرقى الرحلات التي خصصت ميزاها للقدس والخليل[2].

ب) رحلة العياشي:

هي رحلة ضخمة سماها ((ماء الموائد)) وضمنها أخبار وحوادث مختلفة شاهدها أو سمعها أثناء أسفارها، وأهم ما فيها ووصف طريق الصحراء والسكان والعوائد وأحوال المعاشي والأمن والحديث عن العلماء والدين وأتعاب المسافرين. ورغم الاستطرادات الطويلة فإن للرحلة قيمة لفت أنظار المستشرقين الذين نقلوها كاملا أو جزئيا وأثنوا عليها.

وقد خصص العياشي صفحات عديدة في الجزئين من كتابه للجنوب الجزائري.

- **مسار رحلة العياشي:**

التاريخ	مكان الإنطلاق أو الوصول	أهم الملاحظات
الخميس 1 ربيع الثاني 1072ه-1661	الخروج من بلده من أعمال سجلماسة	
الأربعاء 7 ربيع الثاني	دخوله سجلماسه	
السبت 10 ربيع الثاني	الخروج من سجلماسه	

[1]- العياشي، المصدر السابق، ص196

[2]- عبد الهادي تازي، **القدس والخليل في الرحلات المغربية رحلة ابن عثمان نموذجا**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسيكو 1418ه/1997م، ص22

الخميس آخر يوم من ربيع الثاني	الوصول إلى توات	مريح ليس للبيع أو الشراء
الخميس 7 جمادى الأولى	الخروج من توات	
الثلاثاء 12 جمادى الأولى	الخروج من أكرت	طريق حرشة متعبة ومهلكة للأقدام تحتاج إلى دليل
الجمعة 29 جمادى الأولى	دخول أعمال وارجلان	محط القوافل بيع وشراء
الاثنين 2 جمادى الثانية	الخروج من أورجلان	
السبت 14 جمادى الثانية	نزول تكرت بواد ديغ	
الأربعاء 17 رجب	دخول طرابلس	
السبت 26 رجب	الخروج من طرابلس	كثرة السرقة بأعمالها
الأحد 5 شعبان	دخوله برقة	
الأحد 25 رمضان	دخوله أنبابه من أرض مصر	
الخميس 27 شوال	الخروج من مصر	أرض مقفرة موحشة معطشة
السبة 5 ذو الحجة	دخول مكة المكرمة	

2- أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن ناصر الدرعي 1057-1128ه/1647-1715

أ) **التعريف به:**

هو أبو العباس العباسي أحمد بن عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الحسين ابن ناصر بن عمر الدرعي الإعلامي[1]، ولد منتصف ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان1057ه[2].

وفاته: توفي الدرعي في الثالث والعشرون من ربيع الآخر عام 1128ه/ 1715م وقيل 1129ه/1716م[3].

- **صفاته ومكانته الاجتماعية:**

كثر المديح على الدرعي من قبل كل من تناول ذكره، فهما فيه الشيخ الصالح الناصح[4] والعالم الشهير، والولي الشهير، والولي الصالح، النحوي اللغوي...المؤرخ[5]، الإمام الكبير[6].العمدة الكامل، العامل، القدوة الفاضل، صاحب الكرمات الكثيرة والمناقب الشهيرة[7]، والعارف السني والمحدث[8] والإمام الأوحد[9]

وما قيل في حقه يدل دلالة واضحة على عظم مكانته وارتفاع شأنه الاجتماعي أو علو قدره العلمي.

ومما قيل فيه، كان الدرعي الإمام وقته علما وعملا، وقلا بالحق شديد على أهل البدع، متعاونا، مقبلا على ما يعنيه متبعا للسنة في أقواله وأفعاله، حريصا على إحياء السنن واجتناب البدع.

---

[1]- محمد بن عبد الله الصغير الأفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز الثقافي في المغرب، دار البيضاء، طبعة 2004م، 1425ه، ص221

[2]- العباس بن ابراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، الناشر المطبعة الملكية، الرباط، جزء2، 1993، ص357

[3]- عواطف بن محمد، مرجع سابق، ص81

[4]- الأفراني، مصدر سابق، ص221

[5]- القادري: **النقاط الدرر** ، دار الإتفاق العربية، 1983، ص313

[6]- القادري، **نشر المثاني** ، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق الرباط نشر وتوزيع مكتبة الطالب 1986، ص234

[7]- محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتب العلمية، سنة 1424ه

[8]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات**، دار المعاجم محقق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي سنة 1402ه، 1402ه، 1982م، ج2، ص677

[9]- السملالي، مصدر سابق، ج2، ص357

تزوج زوجتين[1] ولكنه لما توفي و لم يترك عقبا بعده، كان رأس أسرته المكونة من إخوته وأبنائهم الذين كانوا فيما يبدو مناقدين له، إضافة إلى أن الدرعي نعم من العيش، دل عليها كثرة ما أنفقه في رحلته الأخيرة وشراؤه نوادر الكتب الغالية الثمن[2].

- **حياته العلمية:** عرف عن الدرعي أنه من علماء الموسوعين فهو ((النحوي واللغوي والمؤرخ الذي يفيد الشوارد ويحفظ الفوائد))[3].

أقبل الدرعي على العلم منذ نعومة أظافره، فختم صحيح البخاري في السابعة من عمره، وانصرف لمطالعة الكتب أينما كتب الحديث.

ويحكي أنه قسم وقته لمختلف أنواع الطاعات من تلاوة ومطالعة والنوافل، علاوة على حفظه للسانه، مستعملا الجد في جميع أموره، وكان له اعتناء خاص بشراء الكتب واقتناء النادر منها مهما ارتفع ثمنه، فهو الذي أثرى زاويته بنوادر الكتب التي سعى لجلبها من المغرب ومما أحضره معه من المشرق[4].

وقد أخذ الدرعي العلم عن جمع غفير من العلماء وقته فأخذ فنون القراءة وعلم الرسم وعلم التوقيت والفرائض وكان أول من تتلمذ على يد والده الشيخ الإمام محمد بن أحمد بن ناصر الدرعي، حيث تلقى عنه التفسير والحديث والعربية وأصول الدين وغير ذلك، وما تلقاه عن أبيه لا شك أنه أهله لأن يكون الخليفة بعده في علمه ومكانته ومن أهم شيوخه أيضا أبو سالم العياشي الذي سمع منه وأجازه[5].

وعلى العموم فشيوخه كثيرون وكذلك تلاميذه ولقد بولغ في نسبه الكرامات والخوارق إليه، وقد هرع الناس لأخذ العلم عنه ومراتب له أكباد الإبل وتزاحمت على بابه الركبان، لما وصل إلى

---

[1]- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، **الرحلة الناصرية**، ج1، ص189

[2]- بوسوف نواب، **كتاب الرحلات في المغرب الاقصى**، 2008، الرياض، ص77.

[3]- الأفراني، ، مصدر سابق، ص221، القادري، مصدر سابق، ج3، ص234

[4]- عواطف بن محمد، مؤجع سابق، ص78

[5]- نفسه، ص78

المدينة المنورة في رحلة للحج تصدر للتدريس في المسجد النبوي، وأسند إليه قراءة القرآن الكريم والحديث، وبادر شعراؤها إلى مدحه.

وقد اعتذر الدرعي في رحلته الرابعة للمشرق لأداء فريضة الحج عن تقصيره في تتبع العلماء مرجعا ذلك إلى كبر سنه وقلة قوته وضعف بدنه وهمته[1].

- **مؤلفاته:**

ترك الدرعي العديد من المؤلفات نذكر أشهرها:

1-كتاب الأجوبة

2-تأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بقرب من كتاب دلائل الخيرات[2]

3-رحلته إلى الحجاز التي تهمنا

ب)**الرحلة الناصرية:**

- **سير الرحلة** : بداية الرحلة الناصرية كانت يوم الخميس 24 جمادى الأولى 1121ه/21 يوليو 1709.

وتاريخ القفول ثم يوم الخميس 6 رمضان 1122ه/19 أكتوبر 1710م وقد استغرقت الرحلة مجموعها خمسة عشرا شهرا وستة أيام أي مدة عام وثلاثة أشهر وستة عشرا شهرا وستة أيام أي مدة عام وثلاثة أشهر وستة أيام موزعة على الشكل التالي:

---

[1]-نفسه، ص79

[2]- عبد الله الشهير بحاجي خليفة، **كتاب الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، ص759-760، بيروت لبنان، دار العلوم الحديثة

- رحلة الذهاب وصولا إلى مكة المكرمة: ستة أشهر وسبع أيام
- رحلة الإياب وصولا إلى الزاوية: ثمانية أشهر وسبعة أيام
- مدة مناسك الحج ثمانية أيام، بالإضافة إلى جوازه بمكة المكرمة مدة تسعة أيام، أي مجموع خمسة عشر يوما
- قطع الركب رحلته حوالي أحد عشر ألف كلم

لقد تباينت مدة الإقامة بالمراكز الرئيسية لعدة أسباب من بينها:

- الحاجة إلى الراحة خصوصا قبل بعد المراحل الصعبة
- أهمية المراكز من الناحية الإقتصادية لفتح الفرصة للحجاج لقضاء الحاجيات من بيع وشراء واستبدال للرواحل.
- مراعاة الظروف الطبيعية الأمنية
- أهمية المراكز من الناحية العلمية، حيث كانت محطات لتلقي العلوم ونقدم جدولا يبرز هذه المحطات ومدة الإقامة بها ذهابا وإيابا:

المحطات الرئيسية	مدة الذ
سجلماسه (زاوية إكوز)	8
طرابلس	5
تاجوراء	3

القاهرة		6
مكة المكرمة		2
المدينة المنورة		–
الـــــــــمـــــــــجـــــ		

– القيمة العلمية للرحلة :

يمكن الإفادة من الرحلة من جوانب متعددة، إذ وجد فيها الكثير من المعلومات التاريخية القديمة، كتلك الأحداث التي عاصرها كضرب الأسبان وحصارهم لطرابلس الغرب 1096ه/1684م[1]. وهناك فوائد علمية أخرى يمكن استقاؤها كالتراجم لمشاهير العلماء واستخراج القصائد الشعرية التي أبدعتها قريحة الشعراء في تلك المرحلة، علاوة على استنباط الأحكام الفقهية لمسائل مستحدثة وآراء الفقهاء فيها كمسألة شرب الدخان والقهوة وبداية تاريخ خروج البن من اليمن وانتشاره وما وصل إليه من ثمن، إضافة إلى المعلومات الجغرافية والعمرانية والإجتماعية وغيرها.

لذلك حوت رحلة الدرعي معلومات غزيرة يعود تاريخها إلى الربع الأولى من القرن الثاني عشر الهجري، كما انتج الأسلوب القصصي في رحلته المحتوية على الإشارة والتفخيم والمبالغة أحيانا. وهو فن زرع فيه الرحالة المغاربة خاصة، ومن رحلة الدرعي أيضا عرفنا أن مواكب الحج كانت أشبه بالمدارس المتنقلة بعلمائها ومكتبتها، وكان لهم الأثر الكبير في المناطق التي مروا بها، ومن ذلك ترك الكتب في الأماكن التي تحتاج إليها .

3– أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي:

أ) التعريف به:

[1] – الناصري الدرعي، مصدر سابق ، ج12، ص65

- **اسمه ونسبه:** هو العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الحضيكي شهرة[1]، نزيل زاوية أيسي سبوس، عالم بالتراجم، من أدباء المالكية وفقهائهم، وزاوية السوس الأقصى.

- **مولده ونشأته:**

ولد محمد بن أحمد الحضكي رحمة الله عليه عام 1118ه[2] في قبيلة أمانوز بسوس جنوب الغرب، ونشأ في أحضان أسرته، في حجر والده يلقنه مبادئ التربية الدينية، ويوجهه إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم في بلده، عند إمامهم عبد الله بن ابراهيم الكريسفي حتى اشتد ساعده، وغدا شابا متعلما، ومولعا بطلب العلم، ومهتما بالرحلة إليه فقرر التجول للأخذ والتلقي عن علماء زمانه في الأقطار السوسية، وطاف على علماء وليته، ودرعه وغيرها.

ودرس في المدرسة الصوبية الماسية بالسوس وتخرج منها، ثم بعدما تضلع في العلوم ارتحل إلى الشرق، وأخذ من علماء الحرمين، واليمن، والهند، والعجم والشام، وأقام بمصر سنتين وخلال هذه الرحلة العلمية جمع العديد من الكتب ورجع إلى الوادي أيسي ديني المدرسة القلالية مجددا لها، وأشتغل فيها بنشر العلم وبثه، ثم أسس بها مكتبة علمية، صارت في ذلك الوقت من أشهر مكتبات المنطقة، التي تحتوي على رصيدهم من المحفظات يقدر بالمآت[3]

ومما ساعد الحضيكي على اعتناء مكتبة، أنه كان يتعاطى إلى نسخ المحفوظات بيده دون الاعتماد على أحد غيره[4].

ب)حياته العلمية:

- **أهم شيوخه:**

---

[1]- مصطفى الغاشي، **الرحلة المغربية والشرق العثماني**، طبعة 1، بيروت لبنان، 2015، ص210

[2]- السملالي، مصدر سابق، ج1، ص10

[3]- الحضيكي، الرحلة الحجازية، ص14

[4]- نفسه، ص15

عاش الحضيكي في منطقة السوس العامرة بالزوايا والمدارس العتيقة، وأخذ علومه ومعارفه المختلفة على أيدي جم علماء الشيوخ الكبار، سواء من المغرب أو المشرق ونذكر بعضهم:

- أبو العباس أحمد بن عبد الله الصوابي من علماء السوس
- عبد الله ابراهيم الرسموكي توفي عام 1147ه
- عبد الله بن أبي إسحاق الكريسفي الوالي الصالح توفي عام 1140ه
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الدرعي توفي 1160ه
- أبو مسعود سيدي سعيد بن عبد الرحمان السبي، ذكره في رحلته الحجازية[1].
- أحمد بن مصطفى الاسكندري شيخ المالكية بالأزهر.
- سليمان بن عمر المعروف بالجمل الشافعي توفي 1204ه درس عليه أصول الفقه.
- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي توفي عام 1129.
- **بعض من تلامذته:**
- محمد بن عمر الهشتوكي السوسي توفي 1213
- أحمد بن علي الغوالي الهلالي توفي في أوائل القرن الثالث الهجري
- محمد بن الطيب الشواري
- عبد الله بن أحمد المكوسي الهلالي توفي أوائل القرن الثالث عشر الهجري.
- الحسن بن محمد الثميلي
- **ثناء العلماء عليه:**

[1]- الحضيكي، مصدر سابق، ص17

قال فيه المراكشي في الإعلام: ((كان رحمة الله تعالي عليه عدين النظر في زمانه، ورعا ونزاهة وعلما ونباهة، متبعا للسنة، أخذ في كل فن من الفنون العلم بنصيب، وضرب له فيها بسهم مصيب، عارفا بالسير والحديث، وعلوم الحقائق والمعارف، بلغ الدرجة العليا في علم اللغة، عارفا بالتاريخ.

- **أهم مؤلفاته :**

- مثاقب الحضيكي، شرح الرسالة القيروانية، حاشية البخاري- شرح الرسالة القيروانية[1]
- مصابيح الإصابة في تعريف الصحابة،
- شرح الهمزية للبوصيري، مختصر الأجوبة الجهوية
- شرح الطرفة في اصطلاح الحديث
- رسالة في آداب المعلم المتعلم
- شرح نصيحة الإمام زروق

- **وفاته:**

توفي أبو عبد الله الحضيكي رحمة الله تعالى عليه في ليلة السبت عند العشاء تاسع عشر من رجب الفرد عام 1189ه[2]. موافق لسنة 1775م.

ج) رحلته الحجازية:

- القيمة العلمية للرحلة:

اختار الحضيكي عنوانا لرحلته هو : ((رحلة إلى الحرمين الشريفين)) تلك الرحلة التي رحلها عام 1142ه لأداء فريضة الحج وجعلها شاها على ما فعله، والعلماء الذين لقيهم وحدده مقصوده من

[1]- مصطفى الغاشي، مرجع سابق، ص55-56

[2]- د. عواطف بنت محمد بن يوسوف النواب، مرجع سابق، ص87

تأليفها بقوله: إنه أراد بها ((ذكر جماعة ممن لقيناهم من العلماء في الحضؤ والسفر، رجاء من الله تعالى عظيم البركة، وشمول الرحمة عند ذكرهم، والإنخراط في سلكهم، لوفود محبين لهم، والتعظيم .

وقد التزم الحضيكي لما حدده لنفسه حيث استهل رحلته على غير عادة الرحالة المغاربة بأن سرد فهرسته مشيخته، ومن ثم نبدأ في رحلته وتصديها.

والمتصفح لرحلة الحضيكي لابد أن يلاحظ تشوقه لزيارة الحرمين الشريفين ولأداء فريضة الحج، أو حرصه على لقاء العلماء على عادة طلبة العلم في مسارعتهم للقاء العلماء وارتياد مجالسهم للدراسو على أيديهم وأخذ الإجازات العلمية، كما لا يخفي على المتصفح للرحلة عناية الحضيكي الفائقة.

بإعطاء المعلومات الجغرافية التاريخية والإقتصادية والإجتماعية ولا سيما فيما يخص أحوال الحجاز، إضافة إلى الموضوعات الفقهية مثل توضيحه لمناسك الحج.

وعموما فرحلة الحضيكي مكتوبة بأسلوب سهل سلس، يلجأ إلى السجع في بعض الأحيان، وهو في كل كتاباته يوجه الخطاب لقارئ الرحلة بصيغ عدة مثل: أخي، ولك...

كما ملئت بالأبيات والقصائد الشعرية كعادة الرحالة المغاربة ولذا كله نجد أن رحلة الحضيكي ذات قيمة علمية كبيرة سواء من الناحية الأدبية أم الجغرافية أم الاجتماعية أم التاريخية أم العلمية أم السياسية أم الاقتصادية، فكل متخصص في هذه المجالات يجد بعض ما يهمه عند تصفحها[1].

4- الحاج ابن الدين الأغواطي:

أ) التعريف به:

[1]- عواطف محمد يوسف، مرجع سابق، ص85-86-87

أما مؤلف هذه الرحلة حسب مترجمة الأغواطي، ويبدو أنه لم يكن معروفا على مستوى الجزائر في وقته، رغم أن هذا الاسم – ابن الدين- كان موجودا في المناطق التلية بالجزائر وقد سألنا عنه بعض المثقفين من أهل الأغواط فأفادونا أن عائلة ابن الدين ما زالت موجودة وأنه كان معروفا في وقته بأنه كتب عملا استحوذ عليه الفرنسيون، وعلى الخصوص شيخ بلدية مدينة الجزائر.

وإذا أخذنا معلوماتنا عنه من النص الذي بين أيدينا، فإن الحاج ابن الدين كان قليل التعلم كثير الإطلاع، فهو قليل التعلم لأن معلوماته عن بعض أحوال العصر لا تدل على معارف دقيقة، فهو من الظاهر ولا يدققون، يلمون ولا يتحفظون، أما كثرة اطلاعه فتدل عليها خبرته بالمناطق التي وصفها والتي يؤكد في مناسبات عديدة أنه رأى ما كان يتحدث عنه، ولعل اسمه ((الحاج)) يدل على أنه أدى مناسك الحج وتوقف في بعض العواصم الإسلامية مثل حجاج وقته، كما أن وصفه للدرعية، عاصمة أول دولة سعودية وهابية يدل على أنه لم يتوقف عند زيارة الحجاز، وقد ذهب غلى وصف أماكن من افريقية مثل غدامس... الخ، لا تعرف بالضبط أنه زارها بنفسه، رغم أن كلامه يوحي بذلك.

الفصل الثاني :الأغواط في الرحلات الحجازية

1. التعريف بالأغواط
2. التركيبة السكانية للأغواط
3. الأغواط في الرحلات الحجازية

الفصل الثاني: الأغواط من خلال الرحلات الحجازية:

1- التعريف بالأغواط: (الموقع والخصائص الطبيعية):

أ) **أصل تسمية الأغواط :**

اختلف المؤرخون والباحثون حول أصل التسمية الأغواط منهم : فحسب العلامة ابن خلدون فيقول .... أما لقواط وهم فحد من مغرارة [1]أيضا فهم من نواحي الصحراء، ما بين الزاب وجبل راشد وهم فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش، وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب ...[2]

أي أن بني لقواط فحد من القبيلة البربرية المنحدرة من زناتة التي كانت سكن الجنوب الجزائري.

ووصفها الألماني ماليستان بقوله : رأينا الأغواط فوق التلين ... واحة تحليها كمملكة تعتلي عرش تعتلي عرش بلدان مضطهدة[3].

أما التسمية عند الصنهاجي يذكرها في مخطوطة باسم المدينة وهذا قيل ابن خلدون وتحديد أخلافه المنصور، حيث ذكر أن تأثيرات خلافته امتدت إلى مدينة الأغواط، قال " جاء رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي في نحو مئة فارس ويقال أنه في دعوته بمدينة الأغواط وغيرها من عمله رسالة أن يبعث إليه بالخطة والسكة ليضربها على اسمه [4].

وهناك روايات عديدة تدور حول أصل تسمية الأغواط منها :

يرى إبراهيم مياسي " أنه من خلال هدى القرى والمنازل المبعثرة على امتداد حوالي ثلاثة كيلومترات استمت اسم الأغواط وهو جمع لكلمة (**غـــــــــــــــــــــــــــــوط**) التي تعني المساكن المحيطة

---

[1]- كانت قبائل مغرارة غير خاضعة للحكم الروماني، وقد تأبت عليه رغم محاولات الإخضاع، وتحملت تبعيتها لملوك نوميديا برهق ومشقه، انظر : مبروك زيد الخير، **قصة مدينة الأغواط ذاكرة وتاريخ** ، ط1، مطبعة الرويغي الأغواط، ص12.

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دول السلطان الأكبر**، م ج 7 دار اللبناني، بيروت 1959م، ص100

[3]- مليستان، **ثلاث سنوات في شمال إفريقيا**، ترجمة :أبوالعيد دود :أستاذ الأدب المقارن بجامعة الجزائر، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر 1983، ص ص 222- 223.

[4]- أبي عبد الله محمد الصنهاجي، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم**، تح جلول بدوي (م.و.ك) الجزائر، 1984.

بالبساتين[1] .

إن الأغواط كلمة بربرية تعني جبل على شكل أسنان منشار، وهي إشارة إلى الجبال التي شيدت عليها المدينة و المعروفة يجبل " تيز قرارين " أو إلى الجبال التي تحيط بالمدينة، وهذا نستبعده تماما لكون الكلمة ذات أصل عربي[2] .

وهناك من يزعم بأن " لقواط " جمع قواطي وتعني باللهجة العلمية قوطي جمع أقواطي، أي العلبة التي تصنع من الحلفاء توضع في داخلها مختلف الأشياء وهذا الرأي مفتعل جمع " قواطي" علبة بالعامية تجمع قواطة وليس أقواط ويضيف صاحب هذا الرأي أن هناكمترل قديم يشبه هذا اللون من العلبة مع العلم أن المنازل في هذه المدينة لا تختلف في بنائها عن مختلف القرى المجاورة لها[3].

قال الشاعر عبدالله بن كريو في وصفه [4]:

لقواط أقواطين في معرفتنا لقواط المعلوم و لقواط لكسال

لقواط اللي جاى ميزوا شرقنا واللي ناسوا عايشة همة و دلال

الأغواط بلدة طيبة وعليها أجنة ونخيل ولها أبراج وسور دائر ...." وأما العباشي فيقول نزلنا الأغواط قبل الظهر ...ووجدنا الغلاء الفاحش غير أن السكان لم يتركوا الركب يدخل بعد أن عملوا أن الوباء منتشر بين أفراده ولكنهم مع ذلك أمدوهم بالزرع من خلف السور وغسلوا النقود التي استعملوها ثمنا للزرع خوفا من العدوى [5].

---

[1] – إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص108.

[2] – بلقاسم التخي، **صيانة وترميم السقوف التقليدية للقصور الصحراوية**، رسالة الماجستير، جامعة بوزريعة، الجزائر 2010/2009، ص24.

[3] – أحمد الأمين، **مدينة الأغواط الحياة الثقافية خلال فترة الاحتلال، مقالات في تاريخ الثقافي في المنطقة**، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين، فرع الأغواط (14–16أفريل) ص45.

[4] – ناصر المجاهد، **سبل العبور بجبل العمور**، الطبعة الأولى، المطبعة العربية غرداية، 1993، ص135.

[5] – عيسى بوقرين، **انتفاضة ابن ناصر بن شهرة، 1851–1875**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر 2، بوزريعة، كلية علوم إنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة 2010/2009، ص14.

ب) الموقع والخصائص الطبيعية:

- **الموقع الفلكي**: تقع مدينة الأغواط على خطي الطول 33.8° شمالا، وخط العرض 2.883° شرقا وعلى إرتفاع 751 متر على السطح البحر، تنتمي المدينة إلى الشريط السهبي والذي يطل على جبال الأطلس (جبل الأزرق والميلق) ومن الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية[1].
- **الموقع الجغرافي:**

تقع الأغواط في حدود جبل لعمور الذي ينتمي إلى الأطلس الصحراوي، كما تعتبر الأغواط بوابة الصحراء، وهي تقع على الطريق الوطني رقم 01 الذي يربط العاصمة بولايات الجنوب، تبعد عن ورقلة ب 390 كلم أما عن غرداية ب 190 كلم، و110 كلم عن الجلفة كما يبلغ علوها على سطح البحر ب 187م[2]، وتقع على أحد كبريات الأودية التي توعل بالصحراء وهو واد مزي الذي تحد به ينابيع جبل العمور، شيدت هذه المدينة على حافي جبل " تبز قرارين" حيث تصطف الدور كالمدرجات على منحدرين الجبلين مكونة واحدة شمالية غربية وأخرى جنوبية شرقية، وعلى ثلاث مرتفعات صخرية الأولى مطلة على وادي مزي وتحوي ضريح الوالي الصالح سيدي عبد القادر والثانية بالوسط تحوي البرج الغربي قلعة بوسكارين الأثرية أما الثالثة فغربار تحوي ضريح الحاج عيسى وبالامتداد غربا نجد صخرة الكلاب " بقصر الصادقية " وبالمقابل نجد في الجهة الشرقية كاف الأحمر وكاف مقران [3].

- **الخصائص الطبيعية لمدينة الأغواط :**

- **التضاريس** : تقع في الجنوب الأطلسي على خط استواء الجزائر وعلى شمال خط السرطان وتمتد على جرف خط سهبي وهناك سلسلة جبال الأطلسي الصحراوي ويتساوى هذا

---

[1] – الزبير بن عون، **الاندماج الاجتماعي للمهاجرين بالمجال الحضري، دراسة تطبيقية في المجال العلمي لمدينة الأغواط**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 20152016، ص268.

[2] – نادية محمودي، **التحول العمراني و آفاق التوسع لمدينة الأغواط**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية، ص124.

[3] – الزبير بن عون، مرجع سابق، ص268.

الجوف في منحدرات جبلية حتى مستوى مدينة (بريان) التي تشكل منحدرات لشبكة واد ميزاب [1].

- **المناخ**: يسودها مناخ قاري يتميز بالحرارة صيفا والبرودة شتاءا مع تساقط قوي للجليد خلال شهري ديسمبر وجانفي .
- **الأمطار**: تساقط الأمطار في هذه المنطقة بصفة غير منتظمة تبلغ نسبتها الوسطى (180مم) سنويا مع حدوث جفاف في بعض السنوات [2].
- **الغطاء النباتي** : من نوع شبه الصحراوي وتتكون من مناطق نخلية في الغابات سهبية مغطاة بالحلفة والرمث أما الفلاحة (الأشجار المثمرة وزراعة) فهي محصورة حول ضفاف وادي مزي وفي الغابات (الواحات الجنوبية).
- **الري**: مجرى ودا مزي هو الوادي الأساسي في جبال القصور يتجه من الغرب إلى الشرق ويمر بالأغواط، وهو الوادي الصحراوي الوحيد الذي يوازي في منارة السفوح الأطلس.

2- التركيبة السكانية للأغواط :

يصعب حصر جل القبائل المتمركز بالمنطقة وتحديد الفترة الزمنية التي ظهرت خلالها هناك بسبب التروح المستمر الذي شهدته عبر العصور ومن أشهرها مايلي[3] :

أ) **أولاد سرغين** : تتكون هذه القبيلة من مجموعة من العشائر اندمجت مع بعضها البعض ومن أهمها :

- **جماني** : ينحدران من قبيلة زناتية
- **بداري**: قبيلة عربية تقطن صحراء سيناء
- **أولاد سقال (سكحال)** : أصلهم من تونس

---

[1] – علي بهيطيلة، يحي بن الصحراوي، **لهجة الأغواط وعلاقتها بالفصحى**، شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها، جامعة عمار ثلجي، الأغواط، 2002، ص5.

[2] – مداني لبتر، الأغواط، **صفحات من الحضارة والتاريخ**، الطبعة الأولى، دار هومة، الجزائر، 2006، ص14.

[3] – علي حملاوي، **دراسة تاريخية وأثرية لنماذج من قصور منطقة الأغواط**، ص110.

- **فليجا** : من جنوب التونسي[1]

ب) **الأحلاف** : تتركب من العشائر التالية :

- **أولاد جرير** : أصولهم من ضواحي قسنطينة
- **المغاربة**: من المغرب الأقصى
- أولاد عبد الله وأولاد سلام جاؤوا من (قورارة)
- أولاد بوزيان : ينتمون إلى فرع الحجاج يتمركزون في القسم الشمالي الشرقي

ج) **العمور**: وهم

- **أولاد ميمون الغرابة والشراقة** : أفلو، تاويلة
- **أولاد الساسي** : موطنهم تاويلة ويرى الدوماس بأنهم من قبيلة أولاد نايل
- أولاد يعقوب الغرابة، **الشراقة** : أصلهم هلاليون قدموا من تونس خلال القرن 8ه/14م يتمركزون بالجنوب والغرب جبال العمور .

د) **المخاليف** : يعتقد أنهم أشراف استقروا بالجبل الأزرق شمال الأغواط ويشتهرون بصيد النعام ويمارسون الصناعات الخفيفة.

ه) **الأرباع** : هي مزيج من العنصر الهلالي وهم يتشكلون من:

- **المعامرة** :
- **الحجاج** : ويتألفون من ، أولاد ورقلة وأولاد أونيس[2]
- أولاد صالح
- أولاد زيد

---

[1] – نفس المرجع، ص 111.

[2] – نفس المرجع، ص116.

و) **الحرازلية** : وهي قبيلة بدوية يمتاز بالتنقل والترحال، وعادة ما تحصل رحالها قرب الأغواط، ولذلك فهي تمتلك جمال والأغنام، وقد ساعدها ترحالها على إقتناء التمور من منطقة واد ريغ ورقلة ثم تبيعها في سوق الأغواط كما تشتهر بحبها لسلم ورفضها للحروب الدامية .

ز) **أولاد سيدي عطاء الله** : وهي قبيلة بدوية تنسب إلى الوالي سيدي عطاء الله الذي يوجد ضريحه بقصر تاجموت حيث كانت هذه القبيلة تحط رحالها بالقرب منه .

ح) **اليهود**: كانت تقطن بحي الأحلاف كان للجالية اليهودية دور كبير في ازدهار التجارة بالمدينة والحرف اليدوية، صناعة الجلود والمعادن الثمينة.

3- الأغواط في الرحلات الحجازية :

أ) ذكر الأغواط في رحلة العباشي

ونزلنا الأغواط قبل الظهر يوم السادس عشر من رمضان وكان أعراب من الناس، فقالوا لأهل البلدان : في الركب وباء فلم يتركوا أحدا يدخل إليهم ووجدنا الغلاء كثيرا عندهم، فلم يخرج أحد منهم إلى الركب، وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال يغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية آمين[1] .

وفي يوم الاثنين السابع عشر من رمضان ارتحل الناس من الأغواط بعدما تشاجروا في طريق أي طريق يسلكون، فمالت طائفة إلى طريق عين الماضي، ومالت طائفة وهي الأكثر إلى المرور على الطريق اليسرى لقربها وسهولتها[2].

ب) الأغواط في رحلة الناصري :

وتوغلنا في الصحراء و لم نلتق بطريق الجبل حتى نزلنا الأغواط،ثم ضعنا من الغاسول يوم الخميس، سابع رجب الأولى من شتنبر، ونزلنا مخلف قبل العصر.

---

[1] – مولاي بلحميسي، **الجزائر خلال الرحلات المغاربية في عهد العثماني**، مرجع سابق، ص107.

[2] – عبد الله بن محمد العباشي، مصدر سابق، ص546.

ثم منه ونزلنا قرب شبور يوم الجمعة،ثم أصبحنا على شبور، وأوردنا الإبل والدواب، وهو واد كثير الأشجار والمرعى طويل، وسرنا بعد أن سقينا من الماء مانيت عليه، ونزلنا قبل الاصفرار ووجدنا عذرانا من الماء، وشربنا وروينا، ثم منه ونزلنا عين الماضي عصر الأحد، تاسع رجب رابع شتنبر، وتلقانا أهلها أفواجا أفواجا، وأقمنا به يوم الاثنين لاستراحة الإبل، تنعل الدواب وعين ماضي أهلها كلهم طلبة (جلهم طلبة) .

وكبيرهم سيدي أحمد بن دهصاء – بالدال المفتوحة وهاء ساكنة وصاد (مهملة)، على وزن حمراء إلا أنه كبير السن، به علة لا يقدر على المشي إلا راكبا على حمار، وأولاده الثلاثة فقهاء سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد و سيدي زروق، ومن فقهائهم : سيدي أبو حفص وسيدي محمد بن عيسى، سيدي أبو القاسم، وسيدي عبد الرحمان بن دلس، وسيدي عيسى بن يحي، وسيدي بلقاسم ابن عيسى وسيدي عيسى بعكاز مؤدب الأطفال وعبرهم، وهؤلاء امتلأت قلوبهم محبة وصدقا، إلا أنهم سلط الله عليهم مولاي عبد الملك، ومزق أعراضهم، وكس عليهم الهيبة، وأخذ خزائن الأعراب وسط ديارهم زرعا وثمرا وأخذ عنهم ألف ريال و لم يترك لهم شيئا، وكانوا قبل موقرين و لم يألفوا ذلك، وكبر ذلك عليهم، وصبرناهم وصبروا، ورضوا بالقضاء، ونساؤهم سارحات كالبهائم كدأب نساء هذه النواحي ويوم إقامتنا لم تتحرك امرأة بالركب، فالله يتوب علينا وعليهم وماؤهم طيب بارد، وعينهم خرجت من سفح جبل[1] .

ودخلت للجنات : وضيفوا الركب، كثير الله خيرهم، وفي عام ستة وتسعين طلبوا منا أن نترك لهم نسخة الغنيمة لوالدنا، لينسخوها فتركناها لتعم الفائدة، والله يصلح النيات بمنه وكرمه .

وهم خلصاء النية فينا وفي غيرنا، تقبل الله أعمالهم، وأصلح أفعالهم وطلب منا بعضهم الذهاب لبيته، فأسعفناه، وذهنا مع جماعة من أصحابنا، فأطعمنا، جزاه الله عنا خيرا ووقانا وإياهم والمسلمين ضيرا.

[1]– أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص 130.

ومررت بمسجدهم ودخلت إليه وصليت به سبحة الضحى، تبركا به وبمن صلى فيه من أسلافهم الكرام، وهم على ما صح عندهم، شرقاء أهل البيت زادهم الله علما ودينا وعناية وعافية ووقاية .[1]

وهم منعزلون بقريتهم، لا يسكنهم غيرهم، وهم عاكفون على قراءة الفقه، وبعظم صغيرهم كبيرهم، وكلهم تفرعوا عن أصل واحد، ولا حسد بينهم ولا نبا غض، فيما يبدو لنا، غير أنهم لا يبالون بالحجاب، نرى نساءهم الشواب تبيع وتشتري مع الحجيج غير مستترات وكلمناهم على ذلك من حجة ستة وتسعين، فقالوا : هذه عاداتنا، ونحن العرب وأهل البوادي، ولابد لنا من ذلك لقلة ما بأيدينا . وأكبر من هذا، أن نساءهم لا يغتسلن من الجناية ولا من الحيض ولا نفاس[2].

وكلمناهم على ذلك أيضا ولمناهم، فاستعيذوا بأن ذلك يضر بهن في أرحامهن، على أن جماعة ممن يؤسف به من أصحابنا قالوا : رأينا نساءهم يغسلن الصوف وسط ساقية الجارية بماء بارد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نسأله سبحانه أن يهدينا وإياكم إلى صراط المستقيم، وأما هذه الحجة فما رأينا لهم امرأة تتعاطى التبغ مع الحاج بالركب، وقد كنا قدمنا لهم وخجلوا والله يوفقنا وإياهم. ولضيق الوقت بنا وإرهاقنا ما أطلعنا المكث عندهم ولا دخلنا قريتهم.

كما أرهقنا الوقت أيضا عن المرور بميسرة والتبرك بآثار الصالحين الدين مروا بها وسلكوها، وبها مسجد على ربوة، مبني بأحجار كبار تحاكي الأحجار المبخورة، باستقامة وليست منجورة، وحوله قبور عديدة وأسفه واد بماء جاري، وبإزائه عدة أشجار تين، وهو مفرش (جيدة) وحصر جيدة، وله نور يعلوه، وبإزائه مطبخ طعام مبني على صورة بيت، وصحائف وقدور، وقد ذكروا أن السياج نرد إليه من الفيافي لتتعبد به، وأهل تلك الأفاق العظيمة لا سيما أهل البادية منهم .وأهل عين ماضي ينكرون زيارته، وقالوا : إن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد، وهذا ليس منها، وتكلمنا معهم،ولا معتمد لهم في ذلك سوء ما ذكر، فدخلنه وصلينا به وتبركنا به وأما في هذه المرة فقد أرهقنا الوقت، وما أهمنا إلا قطع ما بأمامنا من المسافات[3] .

---

[1] – المصدر نفسه

[2] – نفسه، ص205.

[3] – أبو العباس بن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص132.

ثم ضعنا منه يوم الثلاثاء ونزلنا تاجموت ظهرا، وتلقانا أهلها أفواجا : كبارا وصغارا، مشاة وركبانا، وفرحوا بنا غاية، وأظهروا المحبة وخرج أمامهم سيدي أحمد بن بركة، رجل كبير السن، وأتونا بثلاثة أكياس، وأتى رجل آخر بكبش، وقسمنا ذلك وهي قرية جامعة لا بأس بها، بها جنات وبساتين وفواكه، وكنا منعنا من المرور عليها خوفا من الدرياس، نبت يضر بالإبل [1].

ثم منها نزلنا بالأغواط عصرا، ولم يترل الركب إلى قرب الاصفرار وخرج أهلهم كلهم كبارا وصغارا، وأظهروا الفرح والسرور، والمحبة والحبور سيدي محمد بن أحمد بن يحي وسيدي أحمد بن محمد بن أبي زيان بلغونا بتاجموت . وهما من أصحابنا ووالدهما من أصحاب والدنا .

ومن فقهائهم : سيدي الحاج بن كسيمة، وسيدي أحمد بن إدريس، وسيدي محمد بن خليفة وسيدي الحاج عبد الرحمان الفجيجي، وسيدي إسماعيل الغين ماصي، وصف أهل الأغواط الراكب بالطعام، والتين والفواكه والخوخ كثر الله خيرهم، وأسبغ عليهم النعمة وكفاهم شر ما يحذرون، ونصرهم على أعدائهم ظاهرا وباطنا، وأقمنا بها يوم الخميس ثامن شتنبر رابع عشر رجب والأغواط هذه بلدة واسعة، ذات الأراضي الواسعة بها محاريث كثيرة وفواكه متنوعة، غير أنها كثيرة الرياح والرمال وقد أخبرني فقيههم، سنة ست وتسعين، سيدي أحمد بن أبي زيان، أن الرياح ذهبت بقرية كانت قرب قريتهم قبل هذا الزمان، ولم يدر أين ذهبت بها ولا بأهلها، ولم يبق لها أثر قائلا : " إن ذلك بدعوة ولي (الله) كان عندهم " وفيره لديهم الآن مشهور عليه بناء،ونسيت الآن اسمه، نفعنا الله به، وبأمثاله من أولياء الله الأعيان .

ثم ضعنا منه يوم الجمعة، خامس عشر من رجب تاسع شتنبر، وبلغنا العسافية، ونزلنا بها وسقى الناس دراهم، وكل لنا بعبر ومرض آخر، وودعناهما عند واحد من أصحابنا – اسمه والله أعلم – سيدي يحي –

وبينا بعد اصفرار واد بسبل ماء .

ثم منه ونزلنا دمت – قرية على سفحه الجبل على يمين الذاهب مشرقا، على واد يسيل ماء ذات أشجار وأنواع من الفواكه عصرا وخرج أهلها مع إمامهم سيدي محمد بن مسعود وفرحوا،

[1] – الناصري، مصدر سابق ، ص205

وزعموا أنهم لم يزالوا على عهد تائبين، وللتعرض للركب وتعاطي حياتهم نابدين وصدقوا والله أعلم، بات الناس و لم بروا بأسا من سارق ولا طارق[1].

ثم ضعنا وبلغنا البرج، وسقى الناس واستقوا، وسرنا كل بعبر لأولاد الحاج مبارك، وودعته عند رجل من أولاد بن حرز الله اسمه : سيدي محمد بن عيسى بن يحي بن حرز الله، وهو يقرأ القرآن، وأخوه السيد الطيب، رغم أنه يريد الطلوع معنا ومطله والداه، سافر التل ينتظر قدر مهما ويأتي مع الركب القاسي، ونزلنا الغيران – ماء قليل يتبرضه الناس نبرضا – اصفرار الأحد، وروت الدواب منه .

ثم منه بلغنا عبد المجيد ضحى [2].

ج) الأغواط في رحلة الحضيكي :

ونزلنا بعده بقرية يقال لها : عين ماضي فيها أجنة تين وعنب، محفوفة بالحوائط والزروب وللقرية كذلك سور ممنوع، ونساؤها يرعن بالحسن والجمال إياك وإياك بأخي أن تدخل القرية، وألزم منزلك وخباءك، وأغضض بصرك، فإنهن يفتن من رمقهن، ويخرجن للتسوق مع الحاج في منزله، ولا يبيع ولا يشتري في تلك البلاد غالبا إلا النساء، ولقد اقتنى بهن عامة والحجاج، إذ نزلنا بها والعباد بالله من فتنة الأهواء، وإتباع الشهوات ولبعض أهلها نوع من مخالطة العلم، وأنت ترى نساءهم كذلك متبرجات بزينتهن، الأحياء معهن ولا دين متغلبات عليهم، وحكي أنهن لا يصلن أصلا، ولا يغتسلن من الحيض، ولا من الجنابة مخافة من الماء، مع أنهم ادعوا الشرف [3].

وارتحلنا منها ومررنا بالغد على قرية ذات نخيل، ومياه وفواكه على يمين الطريق يقال لها : الأغواط ثم بعد يومين أو ثلاثة نزلنا ماء بواد في مسافة وعرة تعرف بعبد المجيد [4].

---

[1] – الناصري الدرعي، مصدر سابق، ص133.

[2] – المصدر نفسه، ص ص133-134.

[3] – الحضبكي السوسي : مصدر سابق، ص204.

[4] – المصدر نفسه، ص204.

خ) الأغواط في رحلة ابن الدين الأغواطي :

إن الأغواط بلدة كبيرة وهي محاصلة بسور رحولها تحصينات ولها أربعة أبواب وأربعة مساجد ولغة سكانها العربية .

وهم يرتدون الملابس الصوفية ولا تخرج فيها= النساء المحترمات من بيوتهن أبدا ولكن غيرهن يظهرن في الشوارع، وليس في هذه البلدة حمامات، وهي تنتج الفواكه بكثرة، ومن بينها التمر، التين والعنب، والسفرجل، والرمان والأجاص .

ويقسم واد مزي الأغواط إلى شطرين، وهو يجري وسطها، وهذا الوادي مشهور في الناحية أما السكان فهم فريقان : فريق يسمى الأحلاف وفريق يسمى ولاد سرقين، وهم غالبا في حالة حرب بينهم، وسبب الخصومة بينهم على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة وتوجد شرقي الأغواط آثار بلده قديمة كان أمراؤها مسيحيين وإلى هذه الأيام يرى المشاهد كثيرا من النقوش في هذه الآثار .

وقد بنيت بلدة الأغواط من الطين بالدرجة الأولى، غير أن بعض المنازل مبنية بالحجر والملاط وليس للمساجد فيها منارات [1]، كما أنه ليس لهذه البلدة مكان مخصص للسوق، ولا حمام، أما العملة المتداولة فيها فهي عملة الجزائر وفاس والتجارة فيها رائجة .

ولا تقترب العقارب ولا الطاعون منها لأنها مبنية في موقع مفضل وهذه الناحية كثيرة الجبال، وفي الجهة الشمالية منها جبل صخري ضخم.

تاجموت :

وعلى مسافة مسيرة يوم شمال الأغواط تقع قرية تاجموت، وينقسم سكان هذه القرية إلى فريقين، وليس لهم رئيسا أو حاكم وهم يتحاربون فيما بينهم كما يفعل أهل الأغواط، وبيوتهم مبنية

[1] – الأغواطي الحاج ابن الدين، **مجموعة الرحلات** تحقيق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 87 – 88.

بالحجر والطين، وعلى الجهة الشمالية من تاجموت جبل عالي جدا يسمى جبل العمور، وهناك أيضا جبل من الملح بالقرب من جبل العمور.

عين ماضي :

إن هذه البلدة تقع غرب تاجموت وهي محاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس، ولها بابان عظيمان، ولحاكمها الذي يسمى ولد التجيني، حوالي مائة عبد وخزنة مليئة بالنقود منذ سنتين فقط (أي سنة 1243ه) جمع أخوه جيشا بهدف الزحف على وهران واستيلاء على خزينتها، وقد انضم جميع العرب الناحية المحيطة إلى لوائه، وزحفوا بالطبول والمزامير وأعطيت لهم خيول والخيام [1]، وقد سقطت مدينة

معسكر في أيديهم. وتقدموا نحو وهران غير أن باي وهران وزع الدارهم على العرب الحملة بهدف هزيمة هذا الجيش، وقد نجح الباي فجعلهم بذلك يسحبون تأيدهم لولد التجيني الذي قتل فيما بعد أثر هجوم قام به الباي ضد جيشه .

وهاهو أخوه الآن حاكم لعين الماضي، وله حمام في وسط البلد ومن بين أملاكه الفخيمة سروج وتحف مطرزة بالذهب، كما أنه تسلك مكتبة كبيرة .وتظهر نساء عين ماضي في الشوارع .

جبل عمور :

إن جبل عمور جبل عالي جدا وفيه مئات عين جارية، وينبع منه نهر كبير يسمى نهر الخير وهو مشهور عند الجميع، وأرض هذا الجبل صالحة للزراعة وفيه كل أنواع الخشب ويقدر طوله وعرضه بحوالي مسافة يومين لكل منهما وسكان هناك يربون الإبل، وبعضهم الماعز والغنم، وهم من أجود الفرسان ولغتهم هي العربية .ولا يحكمهم سلطان، ويقدر عدد المسلحين في جبل عمور بحوالي ستة آلاف شخص بينما مسلحين عين ماضي حوالي ثلاثة مئة رجل أما مسلحوا الأغواط حوالي ألف .[2]

[1] – االمصدر نفسه، ص ص 88-89.

[2] – نفسه، ص 89.

الفصل الثالث : توات من خلال الرحلات الحجازية

1. التعريف بمنطقة توات
2. التركيبة السكانية لتوات
3. قصور توات
4. توات في الرحلات الحجازية

الفصل الثالث : توات من خلال الرحلات الحجازية:

1- التعريف بمنطقة توات :

أ) موقع توات :

يقع الإقليم في الجنوب الغربي للجزائر [1]، وهو عبارة عن مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف في مجموعها اقليما يحده من الشمال العرق الغربي الكبير ووادي امقيدن وجبال تادميت من الجنوب الصحراء تتزروفت ووادي قاريت وجبال مويدرا ومن الشرق العرف الشرقي الكبير وادي المايا، ومن الغرب وادي الساورة وروافدة.[2]

اما الموقع الفلكي للاقليم فانه يقع بين خطي الطول 4 غربا الى 1 شرقا وبين دائرتي العرض 26 – 30 شمالا [3]

وتاريخ عمارتها فيرجع الى ما قبل الاسلام وكانت تسمى بالصحراء القبيلة ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر قبر في غضون القرن الرباع الهجري والقرن العاشر ميلادي وينقسم اقليم توات الى ثلاث مناطق هي :

اولا : منطقة تنيكورارين او قورارة تيميمون من تيميمون الى نبلكوزة

المنطقة الوسطى تسمى ارثواث من عريان الراس (تسابيت) الى انتهيت رقان

ثالثا : منطقة تيدلكت من فقارة الزوى شرق عين صالح الى تيمقطن[4]

---

[1] محمد توختوح، الزوايا في اقليم توات 2012-2013، ص95.

[2]- عبد الله كروم، **الرحلات باقليم توات** ، دار النشر، حلب، 2007، ص23.

[3]- **محمد حوتية، تواز والازرار خلال القرنيين 12هـ، 13 هـ، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، الجزائر، دار الكتاب العربي، 2007**، ص28.

[4]- عبد الله مقلاتي، **معجم اعلان توات**، ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، أ مبارك جعرفي، المركز الجامعي واد سوف

ب) **تضاريس الاقاليم** :

يتكون اقليم التوات من الناحية التضاريسية من حمادة ... السبخة وبعض السلاسل الجبلية المنخفضة وهضبة تادميت

يقع الاقليم التواتي في مجال صحراوي تجري مياهه السطحية الباطنية منذ ما قبل التاريخ من الاطلس حتى النيجر، بل حتى الحوض البحري لتاودني

الاودية : في الاقليم ثلاثة اودية تصب مياهها الجوفية بالفقاقير والابار وتتمثل في وادي مقيدن الذي يمنتهي بمنطقة قورارة، تسع وادي مسعود، الذي ينتهي بمنطقة توات الحنة،

الثالث وادي قارؤيت الذي ينتهي بمنطقة يندلكت[1]

المناخ : يتميز مناخ اقليم المنطقة بمناخ صحراوي قاري جاف شديد البرودة شتاءا وشديد الحرارة صيفا وهي ميزة تختص بها كل الصحراء الغربية لانها منطقة سفلى مليئة بالكثبان الرملية التي تمتص كمية كبيرة من الحرارة في ساعات قائل والدرجة القصوى تبلغ 50 ° في شهر جويلية والمتوسطة 40 ° ومنخفضة في فصل الشتاء[2].

الرياح : تعصف بالاقليم رياح جنوبية تدعى الشهيلي اما الرياح التي تنجر عنها زوابع رملية فهي رياح جنوبية شرقية .

الامطار : لايكون هطول الامطار عاديا، انما يسبقه دوي الرعد، وومضات البرق تسبب وبالتالي انجراف الاودية الصحراوية، مما قد ينجم عنها فيضان انهار صغيرة تفيض في محطات معدودة وتغرق مناطق باسرها، ومياه الامطار قليلة، ولايكاد المعدل المتساقط يتجاوز 200 ملم في السنة، فمنطقة ادرار في ظرف 10 سنوات سجلت بها كمية 250 ملم فقط[3].

---

[1]- حاج احمد الصديق، **التاريخ الثقافي لاقليم توات**، مديرية الثقافة لولاية ادرار، طبعة الاولى، 2003، ص36.

[2]- فرج محمود فرج، **اقليم التوات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، د.ه.ج، الجزائر، 1977، ص2.

[3]- عليق ريحة، **قصر ملوكة بادرار**، دراسة تاريخية اثارية، ماجستير من قسم الاثار، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، غير منشور، 2001-2002، ص11.

ج) **اقسام اقليم توات** :

حينما يطلق لفظ اقليم توات يراد به العموم الأقاليم الثلاثة وهي :

اقليم تيميمون : (فورارة ارثبكورارين[1] وتعني بالامازيغية المعسكرات) : هي منطقة واسعة تقع شمال التوات، يحدها شمالا ولاية البيض وجنوبا واحات توات وشرقا ولاية غرداية وغربا حدود ولاية بشار وهي تبعد بنحو 120 كلم عن شرق عاصمة توات، وبها ما يقرب خمسين قصرا واكثر من مائة قرية[2] بين حدائق النخيل، وكان سكانها أغنياء يتاجرون مع بلاد السودان وهي تعد مجمع القوافل التجارية .

اقليم توات الوسطى : وهي بمثابة وصل بين الاقاليم الاخرى لأنها تتوسطها وهي عاصمة الاقليم، بداية حدودها من قصر عريان الراس يناسيبت شمالا الى زاوية الوقائي جنوبا ومن الناحية الغربية وادي مسعود من الناحية الجنوبية الغربية عرف شاش، اما من الجهة الشرقية اقليم تيدلكت[3].

اقليم يندلكت : تيدلكت كلمة تارقية تعني راحة اليد، هي تقع شمال شرق " رقان" ويحدها شمالا هضبة ""تادميت"" وهو الاقليم الواقع اقصى جنوب توات عند اسفل منحدر باتجاه الغرب وهضاب مرتفعة قليلا تعزلها عن سهل توات، وهي الاقل شساعة والاقل سكانا باقليم توات.[4]

---

[1]- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، **كتاب العبر، ديوان المبتدأ والخبر من تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر**، ت ق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2001، ع 07، ص77.

[2]- الحسن محمد الوزان، **وصف افريقيا**، ص2، ترجمة محمد الحجي .د محمد الاخضر، بيروت، دار العرب الاسلامي، 1983م ج02، ص134.

[3]- محمد حوتية، مرجع سابق، ج1، ص70.

[4]- الحسن الوزان، مصدر سابق، ص134.

2- التركيبة السكانية :

عاش في الاقليم مزيج من الشعوب والاتجناس والطوائف، شكلت فسيفساء بشرية يعود السبب في حدوثها الى الهجرات المتتالية التي عرفها من مختلف الجهات الشمالية والجنوبية واهم العناصر السكانية التي بنت تركيبة الاجتماعية نجد :

أ) **البربر** : وهم السكان الاصليون في شمال افريقيا كانوا أول الوافدين على الإقليم والساكنين به: اهمهم الملثمون كان دينهم المجوسية ثم اعتنقوا الإسلام وعملوا على نشره في بلاد السودان، و لم يكن الملثمون وحدهم من قبائل صنهاجة الذين استوطنوا الإقليم بل هناك قبائل اخرى.

ورغم انهم كانوا من الوافدين الأوائل إلا أن أعداد صنهاجة تعتبر اقل داخل الإقليم مقارنة بزناتة، هذا ما تؤكده الكثير من المصادر التاريخية كابن خلدون بقوله ان توات (...وفيها امم من زناتة)[1].

ب)**العرب** : وهم ثاني شريحة استقروا بالاقليم بعد البربر ووصلو في السنوات الاولى التي اعقبت الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، وهاجرت العديد من القبائل العربية الى الواحات الصحراوية ولما وجدو الاقليم امنا وصالحا للسكن وملائما لطبيعة معيشتهم مكثوا به ولايمكننا ان نذكر كل القبائل التي وردت الى التوات لكثرتها وتعدد بطونها.

- **عرب المعقل**: رجح ابن خلدون ان تعود اصولها الى اليمن[2]، دخلت شمال افريقيا مع الهلاليس في عدد قليل جاوروا زناتة وصارو حلفاء لها وملكوا القصور التي بنتها في الصحراء واختلطوا مع القبائل الاخرى [3]

---

[1]- محمد بن عبد الكريم، **التصوف في ميزان الاسلام**، مطبعة النهضة وهران، ص56.

[2]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص77

[3]- المصدر نفسه، ص78

ومن ضمن العرب القاطنين بتوات قبيلة كنتة التي يقال ان نسبها ينتهي الى عقبة بن نافع رضي الله عنه، بالاضافة الى قبائل اخرى كثيرة مثل الزوى، الشعانبة، الجعفريون، الايوبيون، الامويون الفلان، البراكمة وغيرهم[1]، شكلت هاته القبائل تجمعات سكانية اندمجت مع البربر وقادت حركة النغريب داخله .

ج)**الاشراف** : قدموا من شمال المغرب الاقصى واستقروا بتوات، وهم يعتبرون بشرف نسبتهم الى البيت النبوي الشريف، ويتمتعون بمكانة مرموقة داخل المجتمع التواتي، فالكل يحترمهم ويقدرهم ويحرص على كسب رضاهم ومحبتهم، قدموا من المغرب بشكل فردي، انقسموا الى طائفتين : العلويين والادارسة[2]

د) **اليهود** : ضم اقليم التوات جالية كبيرة من اليهود، يرى البعض اصولهم الى الاقليم كان سنة 550 ق م [3]، والبعض الاخر يرى انهم دخلوا شمال افريقيا منذ عهد الفنيقيين والرومان، فارين الى الصحراء نتيجة للاضطهاد الذيني الذي تعرضوا له لكن باعداد قليلة وبعد مجئ الاسلام الىلا شمال افريقيا لم يبقى امامهم من خيار غير التأقلم أو الذوبان في المجتمعات الإسلامية غير ان البعض منهم فضل الهجرة نحو الجنوب[4]، ويرى البعض أنهم من يهود الأندلس.

ويرى جاكوب اوليل jacoboleie في كتابه يهود توات ان المنطقة شهدت عدة هجرات يهودية اولها كانت في القرن الميلادي انطلقت من ليبيا باتجاه توات والثانية في القرن السادس الميلادي، كانت انطلاقتها من الموصل ثم انضمت اليها جالية من يهود خيبر في الصحراء المصرية الليبية واتجهت نحو توات اما الثالثة فانطلقت في القرن السابع ميلادي من الاندلس الى المغرب لتصل الى التوات في القرن العاشر ميلادي.

---

[1]- مبارك بن الصافي جعفري، **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 ه**، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2009، ص44-45

[2]- عبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية (معلمة الصحراء)**، مطبوعان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، 1976، ص27.

[3]- فوزي سعد الله، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، دار الامة، الجزائر، ط2، 2004، ص49.

[4]- نفسه، ص50

وقد سكنو بكل من "تمنطيط" و "ناسفاوت" ونبطان وتخفيف غير ان شوكتهم علت بتمنطيط فزكت اموالهم بها وسيطرو على التجارة والاسواق، ليتراجع وجودهم بعد مجئ المغيلي وثورته ضدهم، واجبر الكثير منهم على الفرار، بينما اسلم البعض الاخر [1]

٥) الافارقة :

الى جانب البربر والعرب ضم الاقليم اعداد كبيرة من الافراقة من ذوي البشرة السوداء والسمراء يعود تواجدهم بداخله الى ازمنة بعيدة فالبعض منهم من تخلف من قافلة كنان مـــــــــــــــــــــــــــوسى مـــــــــــلك مـــــــــــالي [2]، تزايد عدد توافدهم مع التطور الذي عرفه الاقليم، وعن طريق تجارة

العبيد حيث كانت توات محطة تجارية هامة لهاته التجارة .

استمر توافدهم بعد تدهور الاوضاع الامنية والاقتصادية في السودان الغربي، خاصة بعد سقوط مملكة سنغاي، حيث ظهر نوع من الهجرة الاخحتيارية لسكان السودان نحو الشمال بحثا عن الامن والاستقرار لتشكل مع مرور الوقت طبقة اجتماعية تعرف بالحراثيين او الحراطين[3]، اشتغلوا في الزراعة وحفر الفقارة ومارسوا مختلف الحرف، اختلطوا مع باقي الاجناس الاخرى واندمجوا في المجتمع التواتي .

[1]- تاسفاوت وتخفيف عبارة عن قصور في التوات وسيتبع تفصيلها تحت عنوان قصور توات

[2]- فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص70

[3]- جاءت من كلمة الحراثة (لانهم كانوا يستغلون بحراثة الارض) انظر الموسوعة المغربية للاعلام والحضارة المغربية، ص86-87.

3- قصور توات:

إقليم توات يتمثل في مجموعة من القصور تتوزع على ولايتين، ولاية تمنراست وولاية أدرار، سنحاول أن نصنف قصور توات حسب تواجدها بالدوائر في جدول كما وضعنا مرادفات للأسماء البربرية بمعناها العربي بين قوسين،مستعينين في ذلك كله بكتاب الرحلة العليا لمنطقة توات " للشيخ محمد باي بلعالم " وكتاب نسيم النفحات من أخبار توات " للشيخ مولاي أحد الطاهر الإدريسي " :

الإقليم	الدائرة الإدارية	البلدية	القصور	العدد
توات الوسطى	دائرة ادرار	بلدية ادرار (تيمي)	تنلان (مكان الأحرار)، وينة (ماذا قالوا) ميمون، ملوكة، بوزان، كسام، بربع خمسة، أو قديم (الحشيش اليابس الذي يوجد فيه السواد)، بني تامر، المنصورية، أولاد بوحفص، مهدية، أولاد عيسى، أولاد عروسة، باعبد الله، زاوية سيدي البكري، ادرار (الجبل)، مرقن .	24
		بلدية بودة	اقصبة، لغمارة، أولاد إعيش، أبار، الغماريين، أولاد أنجل، بن أدراعو، زاوية بن يلي، ودران، بني وزان، أغرم علي، زاوية سيدي حيدة، المنصور .	13

		بلدية تمنطيط	أولاد الحاج مامون، أنكير، يالحج، بوفادي، توكي، بنكور، نومناس (بير الاناء)	7
		بلدية فنوغيل (أثار الذراع)	تساوفت (الشهباء)، اعباني، العلوشية، ودغة، (بسرعة)، بن هني، عزي، المنصور، مكرة (الأرض الصفراء)، قصبة أولاد مولاي بوفارس، زاوية سيدي عبد القادر، سيدي يوسف، أبا عمر .	14
		بلدية تامست	بويحا الفوقانية،بويحا السفلانية،الجديد،أولاد عنتر،تمالت، لحمر، أكيس، تماسخت(تمهل)،أغيل،تيطاف (من أصف و تعني أمسك)،غرميانيو(بلدي)،	11
		بلدية زاوية كنتة	مكيد(الفحيلة)،تيوريرين(الأودية الطويلة)،أدرار،شباني،زاجلو(قطع اللحم)،البيض،أولادالحج،تبركان(شجرةالأثل)، زاوية كنية،لمناصير،تاخفيف، آدمر (القفاز الصدري،تاظول(كحل العينين)،زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغلي،بوعلي،آظوى(شجرة الأثل)،غرماملان(بلاد الأبيض)	17
		بلدية أنجزجمير	بومجي،أنجرمير،زاوية بلال،تيدماين(الفتنة)،الخلفي، أو غزير، تيطاوين (العينين) الشرفاء، تيطاوين لخرس تيلولين (المكان الذي ينبت فيه السبط وهو نوع من النبات) .	10

		بلدية سالي	المنصور، برماة،قصبة الجنة، قصبة القائد (ابا بلة،، قصبة النجار، قصبة أولاد مولاي علي، لمحارزة، القصر الجديد، العلوشية، قصبة سيدي الشريف، قصبة أولاد مولاي عبد الواحد، أولاد مولاي العربي، أتزيرية، تينور، بريش (ما عليه شيء)، أولاد باحو، المسنور، زاوية لحشف .	18
		بلدية رقان (الجمل الكبير الراقد)	أنزقلوف (مكان الغنيمة)، آيت المسعود، النفيس (رش الماء)، تاعرابت (المرأة العربية)، القصر الجديد، تنلاف (مكان الحنظل)، تيمادنين، (الأمعاء اللاصقة ببعضها البعض)، تاورير (الحجارة)، انتهنت (صاحب الحجارة)، زرافيل آغير.	
	دائرة تسابيت(المكان المعزول عن الطريق)	بلدية تسابيت	عريان الراس، بريكان،حماد،عمور، الاعياد، وجلان، لمغير .	11
	دائرة أوكروت	بلدية أوكروتت	بوقمة، الشارف، عالية، راوية الشيخ عمر،آقبور، أعبور، بن عباد، تبر غامين، قصر الحاج، تالة، زاوية سيدي عبد الله، تنقلين، أولاد عبد الصمد، دلول،توكي، البركة، الحربان، المنصور، أولاد عبو، آورير، أقبور، أولاد محمود، كابرتن، أولاد راشد، أ ولاد علي، لكراشة، الساهلة، لمطارفة .	

		بلدية أولف	زاوية حينون، قصبة بلال، عمنات، قصبة ميخاف، الركينة، الجديد، تقراف، (الجز)، قصبة حبدات.	
		بلدية أقبلي	ساهل، أركشاش، المنصور، زاوية أبينعامة	
		بلدية تيط	تيط (العين)، قصبة الشرفاء	
	دائرة أولف	بلدية تيمقطن	أولف لكبي، أخنوس، أولاد الحاج، قصر لحسين، زاوية مولاي هيبة، قصبة السيد، إينر، تمقطن، قصبة الجنات، المنصور، أولاد مولاي راشيد، قصر المهدي، بلاد المرتاجي (الزاوية)، المرقب، الميمون (قوقو)	
إقليم تيميمون	دائرة تيميمون	بلدية تيميمون	تيلوين الحاج، بايدة، صموطة، آمراد، مغمورة، فرعون، بن عيسى، بدريان، يغزر، الكاف، أولاد سعيد، بدارة، كالي، الحاج قلمان، لازورة، أولاد عبد للي، قمنتزرات، أولاد هارون، صفحاف، كنتور، انملاد، اتلالت، زقوبر، تاروايا، ماسين، أولاد الحاج، تازقاعت، تيميمون الكبرى، تادمايت، أولاد المهدي، قصبة القائد، أولاد ابراهيم، تلازحم، أعلاملان، أواعمني، أغنات، أولاد نوح، ابني ماهلة، أغنات، ابني ملوك، أولاد ملال، الرمانة، تاوريست، الواحدة .	44

		بلدية شروين	يسلم، تاسفاوت، ياكو، تبو، أوماح، أجدير الغربي، أجدير الشرقي، طامين (النواق) الكبيرة، تاغوزي، النعمة، تاعر اضيق، ايسناون، قطوف، تاكليالت، يحيا وإدريس، قلو، باحمو، زعيتر، سيد المختار، بوكزين، طلمين القصر .	26
		بلدية تنركوك	زاوية الدباغ، تاعنطاس، تابلكوزة، تازليزة، عين حمو، فاتيس، بن زيته، ودغاغ	8
		بلدية قصر قدور	إيترلان، تلغمين، سيدي منصور، بوكركور، تقانت، أنزلوا، بني عيسى	7
	دائرة عين صالح	بلدين عين صالح	قصر العرب (أولاد المختار)، أولاد أباجودة، قصر المرابطين (أولاد بن قاسم)، أولاد الحاج، الضاية، الدغامشة، البركة، حاسي لحجار، اقسطن، الساهلة، الفوقانية، الساهلة التحتانية، جواليل، الزاوية	13
		بلدية فقارة الزوى	فقارة الزوى، فقارة لعرب	2
	دائرة إينغر	بلدية إينغر	تورفين، الشويطر، أقبور، لكحل، مليانة، السبخة	6

أعد الجدول من طرف، محمد تحتوج، الزاويا في إقليم التوات، جامعة الجزائر، كلية علوم الاجتماعية، 2012-2013.

4- توات في الرحلات الحجازية :

أ) منطقة توات في الرحلة العياشية:

ثم ارتحلنا منها ودخلنا ألأول عمالة توات وهي قرى " تسابت "[1] وزرنا بأول قرية منها فير الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا سيدي محمد بن صالح المعروف " عريان الرأس " تلميذ الوالي الصالح المشهور سيدي أبي الراوين دفين مكناس بمغربنا، نفعنا الله بها وأدركنا بعنايتها، وكان وصولنا إليها ضحى يوم الخميس آخر يوم من ربيع الثاني وأقمنا بها ستة أيام، وبعنا بها خيالنا وما ضعف من أيلنا واشترينا ما يحتاج إليه من التمر، وبها من التمر أنواع كثيرة ووجدنا التمر بها رخيصا و لم نلق هناك أحدا ممن ينسب إلى ولاية أو صلاح أولا من أهل العلم والفلاح، وغالب أهلها عوام أهل تجارة جل عيشهم التمر، وبخارج البلد مرعى حسن للإبل صلحت فيه إبل الحجاج أيام الإقامة وعدد مثقال عندهم أربع وعشرون موزونة ويقولون للمثقال الأربعيني مثقال شريطي نسبة للأمير الشريف صاحب سجلمامنة .

وصلينا الجمعة فيها أول يوم أقمنا فيها وسرد الخطيب خطبة عظيمة وعظيمة حسنة نلفقها من صحيفة إلا أنه أكثر فيها اللحن وآخرها فقد نصحكم الواعظ بأهل الإسلام فأقبلوا النصيحة والسلام [2].

وحضر الخطبة رجل ممن كان معنا في الركب فبكى بموعظته تلك بكاء كثيرا وأظن بكاءه ذلك كان عن صدق لا استعمال فيه و لم أعلم حتى الآن من هو.

وسبب إقامتنا في هذه البلاد هذه المدة أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافلالت أخروا الصرف إلى التوات فإن الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من زرع وتمر وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من بلاد " تنكبت "[3] ومن بلاد " أقيرز " من أطراف السودان

---

[1]- تسابت : ناحية، الجنوب دغامشة على نحو 30كلم موادي الساورة وهي مجموعة من القصور ومنها عريان الرأس.

[2]-عبد الله بن محمد العباشي، مصدر سابق، ص ص 79-80، الجزائر خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني من مولاي بالخميس ص ص 69-70، د.بوسليم صالح، أ فايد عمر، الأطروحة و المزارات في الجزائر من خلال كتب الرحلات المغربية، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، العدد 21 ديسمبر 2015، ص 67.

[3]- دغامشة : مجموعة من القصور على بعد 20كلم غربي ولدون .

ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان نافقة في هذه البلاد كالخيل والملابس الملف والحرير .

فإذا قدم الركب إليها كان فيها سوق حافل، ثم ارتحلنا من توات بعدما لحق بنا جملة ممن يريد الحج من أهلها يوم الخميس السابع من جمادي الأول و خلفنا قرى توات وراءنا وعدلنا ذات اليسار إلى بلاد " أوكرت "[1] ونزلنا بقرى " الدغامشة "[2] قرب زاوية سيدي عبد الله بن طمطم فلما ارتحلنا ذهب أمير الركب مع بعض أصحابنا لزيارته و لم تتيسر لي زيارته لأن الركب عدل عنه يمينا وأنا لا أقدر إذ ذاك على المشي كثيرا راجلا والبلاد ذات رمل وقد أثنى لنا أصحابنا عنه كثيرا وأنه من أهل الخير والدين يطعم الواردين عليه في بلاد عاد الطعام أن يكون فيه دواء[3].

ب) توات في رحلة الأغواطي:

رحلة من السودان إلى واحة توات: تبدأ القوافل من السودان رحلتها في بداية السنة فقط. ففي هذا الفصل يتجمع التجار في عدد كبير بهدف السفر مع بعض والحراسة ضد هجوم الطوارق الذين لا يخضعون لأية حكومة، وتصنف الجمال صفوفا وراء بعضها البعض، وكل صف فيه مائتا بعير . وبهذه الطريقة تعبر القوافل الصحراء .

إن البضائع المستوردة من السودان هي العبيد و تراب الذهب . وفي مقابل ذلك تصدر توات والقورارة الحير والحديد والزجاج وأمثالها من السلع[4].

[1]- تنكبت : عاصمة السودان العلمية، اشتهرت بكثرة المكاتب والعلماء : تاريخ المكتبات الاسلامية ومن ألف في الكتب، ص82.

[2]- أوكرت : من القرى الواقعة في التوات : أنس الساري والسارب، ص30.

[3]- عبد الله بن محمد العباشي، مصدر سابق، ص 79-80، مولاي بلخميس، مرجع سابق، ص 69-70.

[4]- الحاج ابن الدين الأغواطي : مصدر سابق، ص 95.

الفصل الرابع :منطقة الزاب في الرحلات الحجازية

1. التعريف بمنطقة الزاب
2. التركيبة السكانية للمنطقة
3. منطقة الزاب في الرحلات الحجازية

الفصل الرابع :منطقة الزاب في الرحلات الحجازية

1 – التعريف بمنطقة الزاب :

أ) أصل التسمية:

- **الزاب لغة** : يقال الزاب زوبا أي انسل هربا والماء جرى، أي زاب الشيء إذا جرى أو هو زاب العراق أي نهر بالموصل [1].

ونجد ياقوت الحموي يربط مصطلح بأحد ملوك الفرس القدماء الذي حفر عدة أنهار بالعراق والتي سميت باسمه[2].

أما لسان العرب يعتبر بأن الزابين أي النهرين الواقعين بناحية الفرات وما حولها من أنهار وتسمى بالزوابي[3] .

وما تناولته دائرة المعارف الإسلامية بخفوص المصطلح فإنها أكدت أنه من روافد نهري الدجلة والفرات [4].

و في نفس الموضوع يرى إسماعيل العربي بأن الزاب يشمل سهول الحضنة التي تمتد عند سفوح جبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء، وقاعدة الزاب هي بسكرة [5].

- **اصطلاحا** :

إن تحديد وضبط مصطلح الزاب فيه اختلاف كبير بين المؤرخين فالزاب اليوم يطلق على قطعة صغيرة في سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء [1].

---

[1]– الفيروز الأبادي : **القاموس المحيط**، ط5، مؤسسة الرسالة، سنة 1996، ص122.

[2]– ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ط2، دار العالم الكتب، بيروت / لبنان، 1986، ص ص 329-330.

[3]– أبو الفضل جمال الدين بن منظور : **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1955، مج3، ص319.

[4]– الشناوي أحمد و آخرون : **دائرة المعارف الإسلامية**، دار المعرفة، بيروت / لبنان، 1997، مج10، ص122.

[5]– الاسم الحقيقي بسكرة، أي مدينة بسكرة من السكر، أنظر: العدواني محمد بن محمد بن عمر، **تاريخ العدواني**، دار البصائر، الجزائر 2007، ص301.

ابن خلدون عنده الزاب هو قاعدته بسكرة [2]. وما جاورها من قرى ومداشر وبلدان إلى جانب

مدينة طينة التاريخية ومسيلة حيث يشمل سهول الحضنة ومدقها الواقعة على السفوح الجنوبية للأطلس وهي مقره ويطنة، لكنه يطلق أن على امتداد محدود غير فسيح عند سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء [3]، والزاب يطلق جغرافيا حسب عبد

الحليم صيد على المناطق التي حول بسكرة ويتجاوز طولها 125 ميلا تقريبا من الغرب إلى الشرق وما بين 30-40 ميلا إلى الجنوب[4].

والزيبان جمع زاب والذي ينقسم إلn:

الزاب الظهراوي في الشمال : وتضم العامري، برج بن عزوز، فوغالة، فرخار، زعاطشة ليشانة

الزاب القبلي : ويضم كلا من سريانة، زريبة الواد، اليانة، خنقة، سيدي ناجي، شتمة، سيدي عقبة ...الخ [5].

ب)الموقع :

- **الموقع الجغرافي:**

تتميز منطقة الزيبان بموقعها الجغرافي إلهام الذي يعد حلقة وصل بين الإقليم الجنوبي الشرقي للصحراء والإقليم الشمالي للتل بالقطر الجزائري، والذي يمتد بمحاذاة الحدود الجزائرية التونسية الشرقية وعلى سفوح جبال الأوراس من الناحية الشمالية التي تعتبر كحاجز طبيعي يفصلها عن

---

[1]- الإبراهيمي أحمد طالب: **آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي 1954، 1956**، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997،ج4، ص352

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر وديوان المبتداء والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عامرهم من ذري سلطان الأكبر**، ج1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001، ص 76.

[3]- عبد الحليم صيد، **أبحاث في تاريخ الزيبان بسكرة**، ط1، مطبعة سوف، الوادي، الجزائر، 2000، ص6.

[4] - عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص7.

[5] -Deumes (e) **; le Sahara Algérien** , le nglais et le chercq , paris, 1845,p104.

التأثيرات القادمة من التل، أما القسم الجنوبي منه فتغطيه الكثبان الرملية التي يتخللها شط ملغيغ[1] ، الذي يفصلها عن واحات وادي سوف وواد ريع .

ومن هنا يتضح بأن إقليم الزاب يمتد من التحوم الأوراسية من جبل أحمر حذر، وجبال الحضنة، وواد ريع والجريد التونسي [2].

يحد إقليم الزاب شمالا التلال الجنوبية لجبل الأحمر وجبال الأوراس وسلسلة الجبلية المرتفعة وتبدأ من جبل الدخان إلى غاية وادي جدي، وفي الجنوب نجد المنطقة الواسعة المحصورة بين وادي جدي ووادي التل، وأخيرا في الرق الحدود مجزأة في سهل كبير يمتد من جبل أحمر خدو وشط ملغيغ [3].

- **الموقع الفلكي :**

تقع مدينة بسكرة على خط طول 42 درجة و 5 دقائق شرقي غرينتش، وخط العرض 27 درجة، 39 دقيقة شمالا .(أنظر الملحق رقم ص 64) [4].

ج) الخصائص الطبيعية :

- **المرتفعات :**

يعد إقليم الزاب جزاء هاما من إقليم الصحراء والذي يضم منخفض الحضنة الواقع بين منطقتي السهول الوسطى والعليا من جهة وسلسلة جبال الأطلس الصحراوي من جهة ثانية إذ يربط بينهما سهول تامللت الواقعة على سفوح جبال القصور التي تمتد إلى غاية جبال الزاب المحصور

---

[1]- هو عبارة عن بحيرة ضخمة مليئة بالرمال و البقايا العضوية (240هكتار) تبعد على بسكرة حوالي 70كلم جنوب شرق بسكرة (لعمزيد أنظر)، زردوم عبد الحميد، **بسكرة عروس الزيبان**، مطبعة المنار، الجزائر، 2004، ص05.

[2]- مياسي إبراهيم : **الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 27.

[3]- العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1883، ص147.

انظر خريطة : ، منطقة الزيبان بسكرة، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين**، ص19.

[4]- العربي إسماعيل، مرجع سابق، ص148.

بين العرق الشرقي الكبير جنوبا وسفوح جبال الأوراس شمالا، ومن الغرب جبال الزاب، وجبال أولاد نايل وجبال العمور بينما من الشرق جبال النمامشة حتى الحدود التونسية [1].

- **المناخ والغطاء النباتي :**

يتميز مناخ المنطقة بالطابع الجاف، فهو قليل الأمطار حار صيفا وبارد شتاءا [2] تنتشر

واحات النخيل في الأماكن التي تتوفر على المياه الباطنية والسطحية، بفعل انخفاضها وامتداد الوديان التي يكثر جريانها في فصل الشتاء على مسافات قليلة أهمها وادي الجدي ووادي الأبيض والعرب[3] .

وما يزيد في درجة الحرارة هو هبوب الرياح الساخنة الجافة القادمة من الشمال الشرقي للصحراء الكبرى، وفصل الشتاء الإقليم إلى رياح جافة وباردة [4].

أما تساقط الأمطار فتؤثر فيه عوامل متعددة منها الحرارة، والرياح الجافة، وذلك مرجعه لوقوعه وراء الأطلس الصحراوي الذي يعتبر حاجزا طبيعيا أمام الأمطار، نتيجة لارتفاعه وعدم سماحه لعبور السحب المشبعة بالأمطار نحو الداخل، مما يجعل التساقط قليلا، الأمر الذي أثر على الحياة النباتية وجعلها تكون قليلة إلا بعض الشجيرات مثل : البطوم، البلح، الصمع، السدرة [5].

ويصف حسن الوزان بأن منطقة الزاب منطقة شديدة الحرارة رملية لا يوجد بها إلا يسير من الماء ولكن النخيل بها لا تعد ولا تحصى[6] .

---

[1]- مصمودي نصرالدين : **دور ومرافق العقيد محمد شعباني 1954-1964**، أطروحة ماجستير، تاريخ معاصر (المقاومة والثورة الجزائرية)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010، ص11.

[2]- العوامر إبراهيم محمد الساسي، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تعليق الجيلالي بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص30.

[3]- مياسي إبراهيم ، **من القضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص40.

[4]- مصمودي نصر الدين، مرجع سابق، ص13.

[5]- المرجع نفسه، ص 13.

[6]- الوازن الفاسي محمد بن الحسن : مصدر سابق، ج1، ص138.

ومن جهة أخرى يضيف توفيق المدني في هذا الشأن بأن الأمطار لا تسقط به إلا بمعدل 175 مليمتر في السنة، ومناخه في الشتاء يتميز بطقس معتدل يجعلها محط رحال السياح.

ويتميز بغاباته الغنية بمختلف أنواع النخيل والتي تقدر ب : 239.45600 نخلة حيث تتميز به أيضا أنواع أخرى من الخضراوات وبعض الأشجار المثمرة، تضاف إليها مساحات مزروعة بالحبوب التي تسقى بواسطة الري.

- **المجاري المائية:**

يجرى بإقليم الزاب أودية عديدة تتميز بانحدارها الشديد نتيجة لانطلاقها من مرتفعات الأطلس الصحراوي وجبال الأوراس .

أما من الجهة المقابلة الغرب إلى الشرق تسقى المنطقة بفيضان وادي جدي وهو موسمي يأتي من سلسلة جبال العمور في الجهة الغربية للأطلس الصحراوي يترل باتجاه واحة الأغواط ثم يتجه إلى واحة سيدي خالد التي يخترقها في الزاب الغربي ثم يدخل حتى جنوب واحة سيدي عقبة، ذلك بعد جرف كل مياه الأودية التي يمر عليها، فيسير باتجاه شط ملغيغ الخاضع للتأثيرات الصحراوية وغيره من الوديان ومن أبرزها وادي القنطرة ووادي عبدي الذي يصب في وادي بسكرة[1] .

تعتمد جميع واحات الزاب على زراعة النخيل، هذه الأخيرة التي تسقى بمياه الأبار الأرتوازية كما تسقى مناطق الزاب الشرقي بمياه الأنهار التي تنحدر من جبال الأوراس .

وتمر على بسكرة وادي البيوض ووادي عبدي وفي مضيق القنطرة الذي يعلوه جدران من الصخر الأملس يجري نهر الصخر بهدوء في معظم فصول السنة .

وهناك وادي آغرغار القادم من أقصى جنوب الذي يصب في واد ريغ ثم تنتهي عند شط ملغيغ جنوب بسكرة [2].

فبسكرة معتدلة الطقس في الشتاء حارة في الصيف[1]

---

[1]- زرودوم عبد الحميد : مرجع سابق، ص 18.

[2]- مصمودي نصر الدين : المرجع السابق، ص12.

2- التركيبة السكانية للمنطقة:

تعاقبت على هذا الإقليم شعوبا عديدة منذ العصور الحجرية إلى فتح الإسلام، ومن الوافدين الذين قدموا إلى الإقليم نذكر منهم : الرومان، الو ندال، البيزنطيون، ثم العرب الفاتحين، وبقيت الهجرات تتوافد على الإقليم إلى غاية الاحتلال الفرنسي، ويؤكد من ناحية أخرى بعض المؤرخين أنه لم يكن هناك تواجد للفينيقيين داخل الإقليم [2]، غير أن ذلك لا يعني بأنه كان معزولا عن تلك النشاطات التجارية التي تتم مع الفينيقيين وخاصة في العهد القرطاجي الذي عرف بحركته التجارية الواسعة بين المناطق الشمالية للصحراء، وذلك من أجل تبادل السلع فيما بينها . أما بالنسبة للتواجد الروماني والوندالي والبيزنطي في الإقليم لم يطول به المقام إلا لفترة وجيزة .

وعند مجيء الفتح الإسلامي تواجدت به قبائل أمازيغية ميزتها الترحال من منطقة إلى أخرى عرفوا بالبدو الرحل وخاصة منهم مربوا الماشية ولذلك يلقبون بالبربر الشاوية نسبة إلى الشاة، ويقسمون إلى بربر " بتر "، و بربر " برنس " وبنهاية الفتح الإسلامي ودخول المنطقة ضمن النطاق الإسلامي، غرفت عهدا جديدا تمثل في دخول الأغالبة [3].

وبعد الأغالبة حكم المنطقة الفاطميون (الشيعة) حتى ينتهي تواجدهم في المغرب الإسلامي [4].

ليحل بعدهم عهد بني رومان والذين كان على رأسهم " جعفر بن أبي رومان " والذين كانت تجمعهم معاهدة مع بن بلكين بن محمد الصنهاجي إلا أنهم قاموا بنقضها مما دفع ببلكين أن يهاجمهم بجيوش ويقضي على تواجدهم بالمنطقة، ليأتي بعدهم عهد بني سندي، لكن هؤلاء مكر

---

[1]- إبراهيم محمد الساسي عوامر. مرجع سابق، ص

[2]- عبد الحليم صيد ،مرجع سابق، ص10.

[3]- نفسه، ص10.

[4]- حمار أحمد : **تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل**، مطبعة الفجر، الجزائر، 2007، ص20.

بهم السلطان وتفككت رئاستهم بتفكك أمراء صنهاجة حتى جاءت دولة الموحدين التي قضت على الجميع [1].

ولما تفككت دولة الموحدين حل بالإقليم الحفصيين الذين في عهدهم نشأت إمارة بني مزني 1279-1402م وكان أول أمير لها في المنطقة هو "الفضل بن علي بن أحمد بن الحسن بن علي بن مزني " الذي تمت مبايعته من طرف الأمير " إسحاق الحفصي "، والذي شهدت في عهده المنطقة ازدهارا كبيرا ومرجع ذلك إلى السيرة الحسنة والمعاملة الطيبة يضاف لها التسيير المنضبط للإدارة مما مكنها الاستمرار في التواجد بالإقليم قرابة القرن ونصف .

وبعد انفصال الإقليم عن الحفصيين، بقي قرابة الثلاثين سنة مستقلا إلى غاية قدوم الأتراك بقيادة حسن أغا سنة 1541م والذي تمكن من الإستلاء على المنطقة وما جاورها، ليقيم بها حامية تركية [2].

ليعود بعد ذلك إلى قسنطينة رفقة " علي بوعكاز " شيخ العرب الذي منحه قفطان التولية على رأس المنطقة تحت اسم " شيخ العرب " والذي لزم عائلة الذواودة ومنهم الصخري بوعكاز إلى غاية سنة 1826م [3].

بعد توافد قبائل الهلاليين الذين قدموا من مصر وتروالهم في منطقة الزاب التي كانت البوابة التي دخلوا منها للمغرب الأوسط، وكان سبب هجرهم إلى المغرب الظروف المعيشية الصعبة التي كانوا يعيشونها في شبه الجزيرة العربية، بحيث عاشت قبل الهجرة حياة شاقة في أرض قاحلة لا تنتج إلا الجوع، وكانت أخلاقهم أخلاق الجاهلية بما فيها من سيئات وحسنات كالجود والشجاعة وعزة النفس، حفظ العهد، والاعتراف بالجميل [4].

---

[1]- مصمودي نصرالدين : **خليفة الأمير عبد القادر، فرحات بن سعيد، ثعبان الصحراء**، الملتقى الوطني الثامن للجمعية الخلدونية من أعلام بسكرة المعاصرين، بسكرة 23-24 ديسمبر 2009، ص15.

[2]- مصمودي نصرالدين، مرجع سابق، ص15.

[3]- عباد صالح ، **الجزائر خلال الحكم التركي 1830-1914**، ط3، دار هومة، الجزائر، 2011، ص69.

[4]- الميلي محمد مبارك ، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ج2، ص196.

كما كانوا يتمتعون بالحكمة والعدل والخبرة [1]. ولا ننكر أن الهجرة الهلالية قد طبعت بلاد المغرب بالطابع العربي لأول مرة وشاركت فئات منهم في الجهاد عن أرض الأندلس [2].

ومن قبائل الهلاليين نجد :

قبائل الإثيج : وهم عرب منهم : دريد، كوفة، عياض، الضحاك، لطيف، العمور، العاصم، مقدم، وموطنهم الأوراس . استقرت الضحاك في الغرب وكوفة في الشمال الشرقي، وهكذا تم تعمير المنطقة من طرف قبائل عربية ترحت من شبه الجزيرة العربية .

قبائل رياح : ومنهم : مرداس، أهل بن سعيد، عامر، كانت تلك القبائل تتمركز من الجريد إلى القيروان ثم الزاب، مسيلة، ورقلة كانت كثير التنقل .

ويصف القنصل الأمريكي البسكريون بصفة عامة أنهم يقطنون المناطق الجنوبية التي تقع على أطراف الصحراء ووصفهم بأنهم ذو بشرة سمراء، وشعب جدي يختلف كثيرا في مظهره وفي سلوكه عن غيره من القبائل العربي، بالإضافة إلى أنهم قوم مسالمون ومخلصون يتمتعون بالثقة [3].

يتركز معظم سكان المنطقة في الناحية الشمالية عبر واحات بسكرة لوطاية، القنطرة ومن الناحية الجنوبية يتمركزون في واحات السوافة والرواغة، أما من الناحية الشرقية فيستقر السكان عبر واحات سيدي عقبة، مشونش، زريبة الوادي وخنقة سيدي ناجي، وفي الجهة الغربية يتجمعون في واحات طولقة، أولاد جلال وسيدي خالد [4].

وبذلك نجد المجتمع بإقليم الريبان يتواجد به :

---

[1]- بوسماحة عبد الحميد ، **رحلة بني الهلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية**، دارالسبيل، الجزائر، 2008، ص247.

[2]- بوزياني الدراجي ، **بنو هلال و أحلافهم**، المجلة الخلدونية، العدد 09، دار الثقافة، الجزائر، 2011، ص30.

[3]- شالر وليام ، **مذكرات**، تقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص106.

[4]- مياسي إبراهيم : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر** : المرجع السابق، ص 41-42.

الكراغلة : تنتمي هذه الفئة إلى المجموعة العسكرية التي جاءت من قسنطينة بقيادة حسن أغا، وكانوا يتميزون بمكانة اجتماعية وثقافية، ويميزهم لباس خاص يختلف كثيرا عن المظهر البسكري، وكان لهم حي للسكن خاص بهم يسمى ب : " حي أولاد أغا " .

العرب : وهم المجموعة الاجتماعية والثقافية للمنطقة الزيبان، ويعتبرون أنفسهم من الإشراف وينسبون إلى النبي " خالد بن سنان " لحفظ مكانتهم الاجتماعية [1].

الأمازيغ : وهم قسمان :

البتر : هم سكان الجنوب منهم الزناتة، سدراتة، وحياتهم أشد شبها بالعرب ذلك ما جعلهم يندمجون بهم .

البرانس : وهم سكان الشمال كانوا أكثر استقرار وحضارة ومقاومة ومنهم صنهاجة، وكتامة وزواوة [2].

الزنوج : ويمثلون قبيلة الرواغة ويسمون الحشاشة، يتواجدون بورقلة، تقرت، المغير وكلها على حدود وادي ريغ، رغم وضعهم في أسفل الهرم الاجتماعي إلا أنهم كانوا يرفضون أن يعاملوا كالعبيد .

ومن جهة يعود لهم الفضل في النمو الاقتصادي بالزيبان كذلك للخبرة التي كانوا يتمتعون بها في تقنيات الزرع خاصة في زراعة النخيل [3].

---

[1]- زردوم عبد الحميد : **تاريخ بسكرة في عهد الأتراك 1660-1844**، مطبعة المنار، الجزائر، 2003، ص20.

[2]- المرجع نفسه، ص21.

[3]- نفسه، ص21.

3- منطقة الزاب في الرحلات الحجازية:

أ) في الرحلة العياشية :

ونزلنا بسكرة ضحى يوم الاثنين، وكان نزولنا خارج البلد من غربية لأجل الوباء، إضطر الناس لدخول البلد لشراء الزاد خارج البلد من عرب أولاد نصر ابن بوعكاز، وحذروهم من غاراتهم على إبل الركب [1]، فلم تمرح لركب سارحة إلا ما يشترون من الحشيش، وأقتفينا آثارهم في ذلك، ولحقتنا في ذلك مشقة عظيمة من حسن الإبل والشراء لها، و لم أدخل البلد لمزاحمة الأشغال إلى عشية يوم الأربعاء، ودخلت لزيارة أبي الفضل رضي الله عنه، وقبره خارج المدينة حوله مسجد ومساكن أقوام من جيرانه ودخلنا المسجد وطلعنا إلى مئذنته، وهي في غاية الإتقان والطول والسعة[2]، نقدر الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربعة وعشرون درجة والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء، إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه، فلا ترى به مدرسا ولا قارئا مع أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة، مع توافر أسباب العمران فيها قد جمعت بين التل والصحراء، ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها، وأرجاء متعددة تطحن بالماء، ومزارع حناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، وبالجملة فما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أخص ولا أجمع لأسباب المعاش إلا أنها ابتلت بتخلف الترك عليها وعساكر الأعراب يستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة إلى أن بنى الترك عليها حصنا حصينا على رأس الماء الذي

---

[1]- العياشي مصدر سابق، ، ص

[2]- الصدر نفسه، ص539.

يأتي إليها، فتملكوا البلاد وضررا بأهلها وأجحفوا بهم في الخراج، و لم يقدروا على الخروج عليهم لتمكنهم من الماء الذي به حياة البلد وأهله، فاجتمعت عليها غارة العرب من خارج وظلم الترك من الداخل، وقد أشرفت على الخراب، وقاربت أن تكون يبابا لولا ما تآتل من أسباب عمرانها المحبة لرغبة الناس في سكانها وقد لقيت بها في سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين ممن جمع بين العلم والعمل والزهد والورع وصدق التوجه إلى الله واسمه سيدي بوطيب نصير، لم ترى عيني قبله ولا بعده أمثل منه في هديه وسمته، تخشع القلوب لوعظه، لما رجعت من الحجاز في ستة ستين وجدته قد توفى بالوباء الواقع في تلك السنة و كان وباء مفرطا مات به في بسكرة على ما قيل نحو من سبعين ألف نفس وقد دخلنا من بنية عفية فوجدنا أكثر حوماتها خاليا ومساجدها وأثره، ولقيت بهذه المدينة سيدي محمد الصالح وهو رجل من أهل الخير منفرد في مسجد ويجتمع إليه ناس من أصحابه بذكرهم، وبعلمهم، وخرج إلينا أيضا من فقهاء البلد سيدي عبد الواحد الرماني وهو أيضا رجل من أهل الخير غلبت عليه الديانة والانقطاع عن الخلق، وقرأ عليه أول صحيح البخاري، من رواية أبي ذر، وذهب معنا إلى زيارة أبي الفضل وصلنا العصر في مسجد سيدي أبي الفضل، وفي الغد يوم الخميس ارتحلنا ودخلنا البلد ثانيا لزيارة سيدي محمد بن بوعلي.

وكان ارتحالنا من بلاد بسكرة قاعدة بلاد الزاب يوم الخميس [1].

ب) في الرحلة الناصرية:

ولما طلعت الشمس، طلعنا ونزلنا بسكرة النخل عصر السبت، ثالث وعشرين من رجب سبعة عشر سنة نبر، وأقمنا بها الأحد والاثنين .

وطلعنا و لم ندخل المدينة هذه المرة لضيق الوقت، والحجة قبل هذه سنة تسع ومائة وألف دخلناها وزرنا مسجدها، وطلعنا (إلى مئذنته) وهي في غاية الإتقان والطول والسعة، تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربع وعشرون درجة، والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء، إلا أنه قل عامروه، وضعف ساكنوه، فلا ترى فيه مدرسا (ولا فقيها) ولا قارئا، مع أن هذه المدينة من أعجب المدن وأجمعها لمنافع كثيرة وأزرع كثيف، وزيتون ناعم، وكتان جيد، وماء جار في نواحيها وأرجاء متعددة تطحن بالماء، ومزارع حناء، إلى غير ذلك من الفواكه، والخضر،

[1]- العياشي، مصدر سابق، ص ص 539-540-541.

والبقول، وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، وبالجملة كما قال الإمام العباشي في رحلته فما رأيت في البلاد البني سلكتها شرقا وغربا أحسن منها، ولا أحصن، ولا أجمع لأسباب المعاش، إلا أنها (ابتلت) بتخالف الترك عليها وعساكر العرب فيستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة، إلى أن بنى الترك حمنا حمينا على رأس العين التي يأتي الماء منها إلى بسكرة فتملكوا البلد وأضروا بأهلها، وأجحفوا بهم في الخارج، ولم يقدروا على الخروج عليهم لتمكنهم من الماء الذي به حياة البلد وأهله، فاجتمعت عليها غارات العرب من خارج وظلم الأتراك من الداخل، وقد أشرفت على الخراب، وقاربت أن تكون يبابا لولا ما نأثل من أسباب عمرانها الموجبة لرغبة الناس في سكناها[1].

قال " ولقد لقيت بها سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين، ممن جمع بين العلم والعمل به، والزهد، والورع، وصدق التوجه إلى الله تعالى، واسمه سيدي أبو طيب نصير، لم ترعيني قبله ولا بعده، أمثل منه في مديه وسمته، تخشع القلوب لوعظه وتلين لكلامه، ولو كانت أقسى من الحجر قال : " ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين، وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة، وكان وباء مفرطا مات به بسكرة على ما قيل لنا (من) نحو سبعين ألف نفس . وقد دخلنا المدينة عقبة، فوجدنا أكثر حوماتها خاليا ومسجدها داثرة ولقيت بهذه المدينة سيدي محمد الصالح، وهو رجل من أهل الخير، منفرد في مسجد له بإزاء داره، يلازم فيه الصلوات الخمسة، ويتجمع إليه ناس من أصحابه، يذكرهم ويعلمهم[2].

قال : " وخرج إلينا أيضا من فقهاء البلد سيدي عبد الواحد الرماني و هو أيضا رجل من أهل الخير، غلبت عليه الديانة والانقطاع عن الخلق، وقرأ على أول صحيح البخاري من رواية أبي ذر . وذهب معنا إلى زيارة أبي الفضل، وصلينا العصر في مسجد سيدي أبي الفضل وفي الغد، يوم الخميس، ارتحلنا، ودخلنا البلد ثانيا لزيارة سيدي محمد بن أبي علي فوجدناه على سطح دار يشرف على الطريق، ولم يترل إلينا وقرأ إلينا الفاتحة من هناك ونحن بالطريق، ودعابنا، وهو رجل من أهل الأحوال الصالحة مغلوب عليه في أكثر أوقاته تؤثر عنه كرامات .

---

[1]- الناصري الدرعي، مصدر سابق، ص139.

[2]- الناصري الدرعي ، مصدر سابق، ص 140.

قال : " ولقد لقيته بداره، سنة خمس وستين، وهو في مرمة له في داره، يعمل بها بيده ينسج الثياب، وأخبرنا أن قوته من كسب يده، وأخبرنا بحاله ومبدأ أمره مع شيخه . وقد انتشر صيته في هذا الوقت بتلك البلاد . وله أتباع وأصحاب يجتمعون إليه في أوقات للسماع والذكر، وسمعنا من بعض الحجاج ممن زاره بعد ذلك.

أنه قال لهم : إن النبي صلى الله عليه و سلم قال له : النار لا تمس كل من رأك وزعموا انه قال ومن رأى من رآك مراتب متعددة والله اعلم بحقيقة دلك،فان صح انه قاله فهو في الغالب لا يكذب إلا أن كلامه يحتاج إلى تأويل،ويبعد حمله على ظاهره وأن المراد مجرد الرؤية البصرية،فان القواعد تأبى بفائه علي عمومه. فانه يراه البر،الفاجر، والمصر على الكبائر،المفارق لها، بل الجاهل الذي الذي يتطرف قالي إيمانه الخلل.لغلبه الجهل والآراء الفاسدة .ولكثرتهم جدا يبعد موت جميعهم علي التوبة النصوح الموجه لغفران جميع الذنوب الموجه للنجاة من النار [1]، إلا أنا كلام أولياء الله لا يعني أن يرمي به حزافا ليحرص المرء جهده على ألفاتهم ورؤيتهم والشرك بهم،فعسي يصادف نفحه من نفحات الحق،فيسعد بها دنيا وأخر ه:فان لله عباد إذا نظروا إلى أحد أعنوه، ومع ذلك فلا يركن إلى ظواهر ما يجري على ألسنتهم كل الركون، حتى يعتقد أن من رأى أحدهم ممن قال مثل ما تقدم، فقد أمن من النار، فان لكلامهم رجوها واحتمالات تدق على أفهام أكثر الخلق، ممن لم يسلك طريقهم قال "وأقرب ما يحمل عليه كلام المتقدم أن تحمل الرؤية علي القلبية،والمرئي على صورته الباطنه التي توجب العلم بها هو عليه، من سني الأحوال،وتسمي الأوصاف، ولا شك أن من منح شهود ذلك وأشر فعليه فله،نصيب من افر من التخلف بأخلاق الأولياء ،والورود من مواد الأصفياء حينئذ يكون جديرا بأن لا تمسه النار،وذلك من معني ما اشتهر عن قطب الزمان :مولاي عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه،أنه قال: أخذت العهد علي ربي أن لا يدخل أحد من أتباعي النار إلى يوم القيامة "فيحمل علي من اتبع طريقه، لا على الإنسان باللسان .ولو صح حمل الكلام المتقدم علي ظاهره وعمومه لكان أولى بذلك الأشياء، صلوات الله وسلامه عليهم، وكثير ممن رآهم رؤية بصريه لم يوفق للاهتداء بهدتيهم فجر من بركه رؤيتهم،وكل مقام ناله ولي الأولياء فهم ميرات أتباعه لنبيه،صلى الله عليه وسلم .وما يكون ميراثا لها يصح أن يكون شيئا لم يكن لموروثه، بل سيتحيل عند أرباب القلوب أن ينال ولي لو

[1]- المصدر نفسه، ص ص 140-141.

ذرة من مقام أو حال-لم تكن بكمالها لمتبوعة-ومعلوم أن هذه الحال لم تكن لأحد قط [1]، فلابد من التأويل قال :"وما أصلبت في هذا إلا أنني رأيت كثيرا من الجهل يغتريأ مثال هذا وبجمله على ظاهره، وإلا فأنا والحمد لله، ممن يعتقد نتزيه الأئمة الصوفية عن الكذب والافتراء، ويثق بأقوالهم، ويصدق بكراماتهم، ويحمل ما أشكل على أحسن مجاملة، ولا أطعن فيه بوجه رأسهم لهم فيما يتبين لي وجهه والمنة في ذلك لله وحده .

وزرنا في تلك الحجة أولاد سيدي محمد الصالح، وأخرج لنا ولده السيد ثمر ا لبنا، وأكل أصحابنا ما أرادوا منه و شربوا . وزرنا أيضا سيدي قاسم، وذكر لنا الأخ سيدي محمد بن عبد الواحد ولد سيدي محمد، المحدث عن صلاح هذا السيد كان من أصحاب والدنا، رحم الله جميعهم،وكان في حجتنا الأولى التي حججنا ها مع الوالد، رحم الله جميعهم، عام ستة وسبعين وألف، وزرنا أيضا سيدي عبد الرحمان وسيد أبا الفضل ...الخ .

ولما دخلت مسجدها لم أجد قارئا ولا مدرسا سوى رجل واحد ممتد يقرأ لوحة وهو ملقى أمامه (يقرؤه)، على غير أدب ولا استقامة، وأخبرني بعض أصحابنا أنه وجد رجلا وأخذ يرد النجاري (وحده) ووفق عنده وقال له :" روح با حاح"، إن هذا دليل على الخراب .

وداخل بسكرة مدينة آبار كثيرة عذبة، وفي داخل المدينة جنات يدخل إليها الماء من النهر وبها جبل ملح يقطع منه صخر جليل، وتعرف بسكرة بالنخيل، وشرب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفها ينحدر من جبل الأوراس . وروي أن في الطريق إلى بسكرة جبلا يعرف بزينير، في وسطه كهف [2].

ثم لما فرغ الناس من قضاء أوطرهم من بيع وشراء، وازدياد زاد، ضعنا ضحاء الثلاثاء الخامس وعشرين من رجب عشرين من شتنير ونزلنا سيدي عقبة عصرا [3].

---

[1]- نفسه، ص141.

[2]- نفسه، ص142.

[3]- نفسه، ص142.

ج) في الرحلة الحضيكية :

وبعدها نزلنا وادي سيدي خالد، ذو نخيل كثيرة ومياه وفيه مسجد ومنارة وبإزائه قبر سيدنا خالد قيل : إنه نبي الله خالد بن سنان، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

وقيل : إنه من رسل سيدنا عيسى ابن مريم عليه الدين أرسلهم للقبائل ليبلغوا رسالة إلى قوم فقتلوه، ودفن هناك، وقيل غير ذلك، وكان مزارا عظيما، نفعنا الله ببركاته آمين[1] .

ثم سرنا غير بعيد، فإذا بقرى كثيرة ونخيل، فلما دنونا هناك فإذا بالخيل والرجال تخرج من خلالها متسلحة، تركض نحونا، فاجتمع الركب، ونصب الغلام الراية، وتأهب الناس لقتالهم فلما رأونا كذلك، رجعوا خاسئين صاغرين، وبتنا في خلاء .

ثم مررنا في الغد على قبر خلوة الشيخ العلامة الهمام سيدي عبدالرحمان الأخضري والأشجار، في شمال الطريق تعرف بالزاب، وبتنا في خلاء بينها وبين مدينة بسكرة على ساقية من ماء تجري .ثم لما أصبح الصباح علمنا الرجل وذهبنا، فإذا أهل بسكرة خرجوا للقاء الركب، بالترحيب والتحبيب، يلعبون بالخيل والبغال في زينتهم ونزلنا صخرة، وأقمنا فيها ثلاثة أيام، وفيها نخيل وأجنة، ومزارع ذات قرار ومعين، وفي وسط النخيل مدينة عظيمة، ومسجد كبير ومنارته، غير أنها الآن خربت و لم يبق فيها إلا سوق في وسطها وذلك المسجد، وتركها الناس وسكنوا حولها من كل جانب، وهي على ما قيل : بلدة الصالحين ومأواهم، وفيها سادات قبر هناك، وزرهم تغنم، والله بنفعنا وإياك ببركاتهم .

[1] – الحضيكي، مصدر سابق، ص89.

خاتمة

خاتمة:

تكلمنا في بحثنا هذا عن ماهية الرحلات الحجازية، وتطرقنا فيه إلى: التعريف اللغوي والاصطلاحي للرحلة وأنواعها وأهميتها وتعريف الرحلة الحجازية وأهميتها وطرق ومسالك الحجيج وزمن الرحلة

كما تعرفنا على الرحالة المغاربة المقصودين بالدراسة وتطرقنا إلى تعريف كل من العياشي والناصري والحضيكي والأغواطي وذكرنا ما توفر لنا من مسار رحلة كل منهم وخصائصها

كما تطرقنا إلى التعريف بمنطقة الأغواط حيث عرجنا على تعريف الأغواط وبيان الموقع والتضاريس والسكان وذكر ما جاء عن الأغواط في كتب الرحالة .

وفي الفصل الثاني تكلمنا على منطقة توات حيث عرفنا فيه منطقة توات وأبرزنا خصائصها الطبيعية والبشرية وأهم ما ذكر عنها في كتب الرحالة

وفي الفصل الرابع : تطرقنا إلى منطقة الزاب في الرحلات الحجازية وعرفنا فيه منطقة الزاب 'الزيبان' وموقعها وتضاريسها وسكانها ، وما ذكر عنها في الرحلات الحجازية.

لقد أمدتنا هذه الدراسة لكتب الرحالة المغاربة بمعلومات تاريخية عن صحراء الجزائر وجنوبها نذكر منها :

التعرف على كل من بسكرة و الأغواط وتوات من خلال ما كتبه هؤلاء الرحالة، حيث اعتبروها كمحطة في طريقهم إلى الحجاز.

كما أمدنا الرحالة المغاربة بصورة صادقة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية بمناطق الصحراء الجزائرية (الأغواط-بسكرة - توات)

كشفت لنا مطالعة هذه الرحلات عن صعوبة الحياة بسبب وسائل النقل البدائية وصعوبة التضاريس وصعوبة الوصول إلى مناطق تواجد المياه وقساوة المناخ وعدم توفر الأمن حيث قطاع الطرق.

الملاحق

الملحق رقم 01: مسار رحلة الناصري

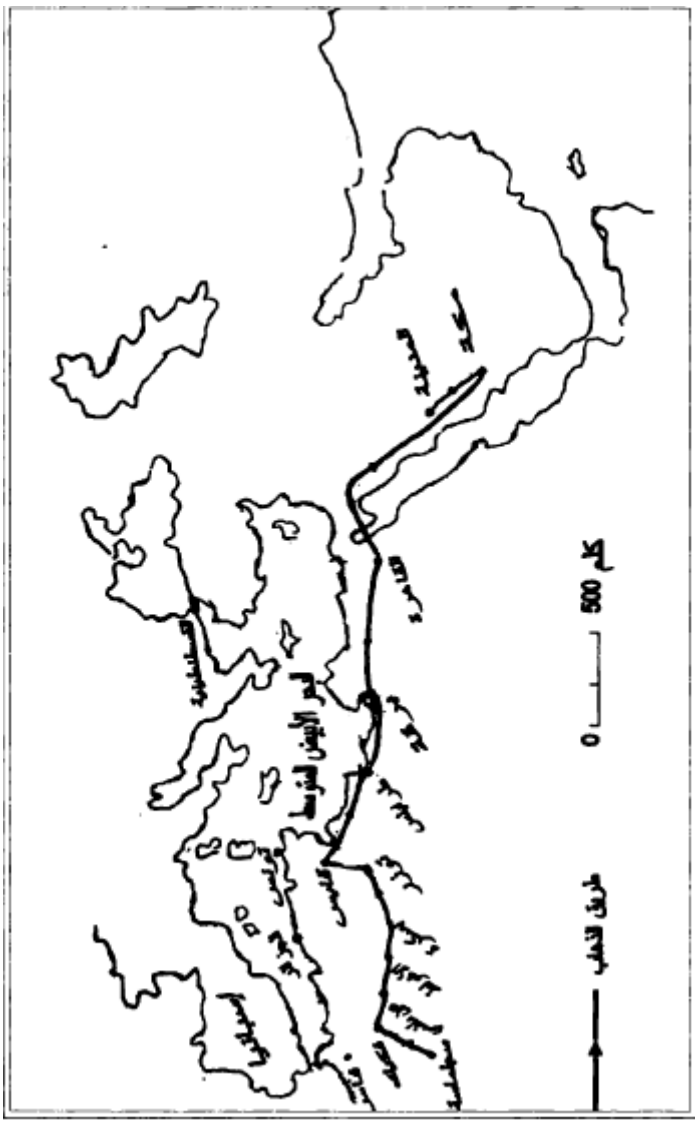

المرجع: مصطفى الغاشي، **الرحلة المغربية والشرق العثماني**، ط1، بيروت لبنان، 2015، ص665

الملحق رقم 01: مسار رحلة العياشي

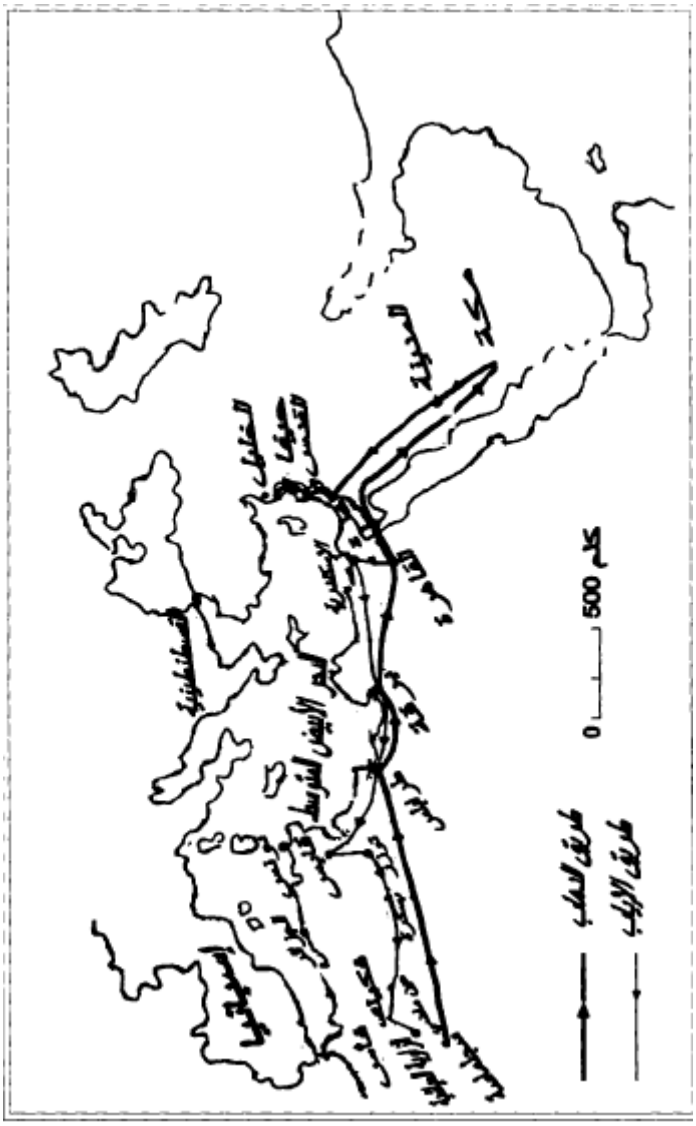

المرجع: مصطفى الغاشي، **الرحلة المغربية والشرق العثماني**، ط1، بيروت لبنان، 2015، ص666.

البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا:

1- **قائمة المصادر:**

2- ابن جبير، الرحلة، دار الصادرة، بيروت.

3- ابن حوقل، أبي القاسم، المسالك والممالك، طبعة بريد، 1872.

4- ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر وديوان المبتداء والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عامرهم من ذري سلطان الأكبر، ج1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001.

5- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد ، مقدمة ابن خلدون، دار العرب، ط1، سنة النشر 1425، 2004.

6- ابن رشيد، الغيبة بما يجمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين المكة وطيبة، الجزء الخامس، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

7- ابن منظور، لسان العرب، ط6، بيروت، دار صادر، 2008.

8- الإدريسي أبي عبد الله محمد بن عبد الله ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، طبعة، 2002.

9- الأغواطي الحاج ابن الدين، مجموعة الرحلات تحقيق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

10- الأفراني محمد بن عبد الله الصغير ، صفوة من انتشر من أخبار الصلحا القرن الحادي عشر تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز الثقافي في المغرب، دار البيضاء، طبعة 2004م، 1425ه.

11- البكري أبي عبد الله بن عبد العزيز ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب.

12- الجبرتي عبد الرحمان ، عجائب الآثار، دار الجبل، بيروت، 1980م.

13- حاجي خليفة ، كتاب الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، ص759-760، بيروت لبنان، دار العلوم الحديثة

14- الحضيكي السوسي أبي عبد الله محمد بن أحمد، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق عبد العالي لمدير، طبعة الأولى، مركز الدراسات وإحياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء، شارع لعلو، الرباط، المغرب، 2011.

15- الحضيكي عبد الله محمد بن أحمد ، الرحلة الحجازية ضبط وتعليق عبد العالي لمدير المملكة المغربية الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الدراسات والأبحاث و إحياء التراث، سلسلة كتب والتراجم و الفهارس والبرامج والرحلات، شارع لعلو لودان –الرباط /المغرب، ط1، 2011، عدد مج2000.

16- الحموي ياقوت، معجم البلدان ط2، دار العالم الكتب، بيروت / لبنان، 1986.

17- الدرعي أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر ، تحقيق، عبد الحفيظ ملوكي، الرحلة الناصرية ج1، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2011.

18- السملالي أبو العباس بن ابراهيم ، الأعلام بمن حل مراكش، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، الناشر المطبعة الملكية، الرباط، جزء2، 1993.

19- شالر وليام :قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824، تقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982.

20- الصنهاجي أبي عبد الله محمد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تح جلول بدوي (م.و.ك) الجزائر، 1984.

21- عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة البمغربية للاعلام البشرية والحضارية (معلمة الصحراء) مطبوعان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، 1976.

22- العبدري، الرحلة المغربية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007.

23- العدواني محمد بن محمد بن عمر، تاريخ العدواني، دار البصائر، الجزائر، 2007

24- العياشي عبد الله بن محمد ، الرحلة العياشية (1661م-1663م)، ط1، تح سعيد الفضلي وسليمان القرشي، دار السويد للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006.

25- العياشي عبد الله محمد ، اقتناء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، تح نفيسة دهبي، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط.

26- الفيروز الأبادي ، القاموس المحيط، ط5، مؤسسة الرسالة، سنة 1996.

27- القادري، التقاط الدرر، دار الإتفاق العربية، 1983.

28- القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق الرباط نشر وتوزيع مكتبة الطالب 1986.

29- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير ، فهرس الفهارس والأثبات، دار المعاجم محقق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي سنة 1402ه، 1982م.

30- المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، ط2، 1906.

31- مليستان، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة :أبوالعيد دود :أستاذ الأدب المقارن بجامعة الجزائر، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر 1983.

32- الناصري أبي عبد الله محمد بن عبد السلام ، المهدي الغالي الرحلة الناصرية الكبرى الجزء الأول، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، سنة 2013.

33- الوازن الفاسي محمد بن الحسن : وصف إفريقيا تر: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

32- Deumes (e) ; le Sahara Algérien , le nglais et le chercq , 1845paris,

1- قائمة المراجع:

1-الإبراهيمي أحمد طالب: آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي 1954، 1956، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997،ج4.

2-ابن عقيل محمد بن حسين ، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة والمنورة، المجلد الأول، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، 2000م.

3-أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار، عن العرب، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.

4-باشا نجاة ، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة، منشورات الجامعة التونسية، 1976م.

5-البستاني بطرس ، دائرة المعارف، طهران، مؤسسة مطبوعاتي، ريما عليان.

6-بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

7-بن عبد الكريم محمد ، التصوف في ميزان الاسلام، مطبعة النهضة وهران.

8-بن عبد الله محمد بن مسعود ، موسوعة الرحلات العربية والمعرفة والمخطوطة والمطبوعة، ط1، القاهرة، دار المعارف،2007 .

9-بوسماحة عبد الحميد :رحلة بني الهلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، دارالسبيل، الجزائر، 2008.

10- التازي عبد الهادي ، القدس والخليل في الرحلات المغربية رحلة ابن عثمان نموذجا، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسيكو 1418ه/1997م.

11- التخي بلقاسم ، صيانة وترميم السقوف التقليدية للقصور الصحراوية، رسالة الماجستير، جامعة بوزريعة، الجزائر 2010/2009.

12- الترغي عبد الله المرابط ، حركة الأدب في المغرب على عهد المولى، جزء5، دراية في المكونات والاتجاهات، أكروحة لنيل دكتوراه الدولة، السنة الجامعية 1991-1992.

13- جعفري مبارك بن الصافي ، العلاقات الثقافية بين التوات والسودان الغربي خلال القرن 12 ه، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2009.

14- حاج احمد الصديق، التاريخ الثقافي لاقليم توات، مديرية الثقافة لولاية ادرار، طبعة الاولى، 2003.

15- حجي محمد: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، المغرب 1964م.

16- حسين فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، 1978.

17- حسين نظار، أدب الرحلة، مكتبة لبنان الشركة العالمية للنشر لونجان، ط1، سنة 1991.

18- حملاوي علي ، دراسةتاريخية وأثرية لنماذج من قصور منطقة الأغواط.

19- حوتية محمد ، توات والأزواد، خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، الجزء الاول، دار كتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع،.

20- خمار أحمد : تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، مطبعة الفجر، الجزائر، 2007.

21- الدراجي بوزياني : بنو هلال و أحلافهم، المجلة الخلدونية، العدد 09، دار الثقافة، الجزائر، 2011.

22- زردوم عبد الحميد : بسكرة في عهد الأتراك، مطبعة المنار، الجزائر، 2003.

23- زردوم عبد الحميد : تاريخ بسكرة في عهد الأتراك 1660-1844، مطبعة المنار، الجزائر، 2003.

24- زرودوم عبد الحميد : بسكرة عروس الزيبان، مطبعة المنار، الجزائر، 2004.

25- الشناوي أحمد و آخرون : دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت / لبنان، 1997، مج10.

26- شوقي ضيف، الرحلات، ط4، القاهرة، دار المعارف.

27- صيد عبد الحليم ، أبحاث في تاريخ الزيبان بسكرة، ط1، مطبعة سوف، الوادي، الجزائر، 2000.

28- عباد صالح : الجزائر خلال الحكم التركي 1830-1914، ط3، دار هومة، الجزائر، 2011.

29- عبد الله مقلاتي، معجم اعلان توات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، أ مبارك جعرفي، المركز الجامعي واد سوف .

30- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1883.

31- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.

32- عمرو عبد العزيز منير، مصدر العمران بين كتابات الرحالة والموروث الشعبي في القرنين 6و7.

33- عواطف بن محمد بوسوف نواب، كتاب الرحلات في المغرب الاقصى، 2008، الرياض.

34- عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، المكتبة الملك فهد، الرياض 1417، 1996م.

35- العوامر إبراهيم محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلالي بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

36- فرج محمود فرج، اقليم التوات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، د.ه.ج، الجزائر، 1977.

37- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الامة، الجزائر، ط2، 2004.

38- كروم عبد الله ،الرحلات باقليم التوات، دار النشر، حلب، 2007.

39- المجاهد ناصر ، سبل العبور بجبل العمور، الطبعة الأولى، المطبعة العربية غرداية، 1993.

40- مجموعة مؤلفين ، الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الأولى، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1412ـــ 1996.

41- محمد بن محمد بن عمر قاسم ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، سنة 1424ه.

42- مداني لبتر، الأغواط صفحات من الحضارة والتاريخ، الطبعة الأولى، دار هومة، الجزائر، 2006.

43- مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني، طبعة 1، بيروت لبنان، 2015.

44- مصمودي نصر الدين : خليفة الأمير عبد القادر، فرحات بن سعيد، ثعبان الصحراء الملتقى الوطني الثامن للجمعية الخلدونية من أعلام بسكرة المعاصرين، بسكرة 23-24 ديسمبر 2009.

45- مصمودي نصر الدين : دور ومرافق العقيد محمد شعباني 1954-1964، أطروحة ماجستير، تاريخ معاصر (المقاومة والثورة الجزائرية)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010.

46- مياسي إبراهيم : الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة، الجزائر، 2009.

47- مياسي إبراهيم ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

48- الميلي محمد مبارك : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ج2.

3- الأطروحات والمقالات:

1-الأمين أحمد ، مدينة الأغواط الحياة الثقافية خلال فترة الاحتلال، مقالات في تاريخ الثقافي في المنطقة، أعمال الملتقى الأول الاتحاد الكتاب الجزائريين، فرع الأغواط (14-16أفريل)

2-بن عون الزبير ، الاندماج الاجتماعي للمهاجرين بالمجال الحضري، دراسة تطبيقية في المجال العلمي لمدينة الأغواط، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 20152016.

3-بهيطيلة علي ، يحي بن الصحراوي، لهجة الأغواط وعلاقتها بالفصحى، شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها، جامعة عمار ثلجي، الأغواط، 2002.

4-بوسليم صالح، أ قايد عمر، الأطروحة و المزارات في الجزائر من خلال كتب الرحلات المغربية، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، العدد 21 ديسمبر 2015.

5-بوقرين عيسى ، انتفاضة ابن ناصر بن شهرة، 1851-1875، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر 2، بوزريعة، كلية علوم إنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة 2010/2009.

6-توختوح محمد ، الزوايا في اقليم توات 2012-2013.

7-الحربي أماني بنت سعيد ، مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم، جامعة أم القرى، كلية الشريفة، 2015م، 1436ه.

8-عابد محمد يوسف ، بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة، دراسة نقدية مقارنة، 1326-1349ه، رسالة ماجيستر، جامعة أم القرى، غير مطبوعة، 1916/1406م.

9-عليق ريحة، قصر ملوكة بادرار، دراسة تاريخية اثارية، ماجستير من قسم الاثار، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، غير منشور، 2001-2002.

10- محمودي نادية ، التحول العمراني و آفاق التوسع لمدينة الأغواط، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية.

الفهرس:

- شكر
- إهداء
- مقدمة 01
- الفصل التمهيدي: ماهية الرحلات الحجازية.....05
- الفصل الأول: التعريف بالرحالة 16
- الفصل الثاني: الأغواط في الرحلات الحجازية.....30
- الفصل الثالث: توات من خلال الرحلات الحجازية.....44
- الفصل الرابع: منطقة الزاب من خلال الرحلات الحجازية.....58
- خاتمة 74
- الملاحق.....76
- البيبليوغرافيا.....79
- الفهرس.....89